كتاب

الحجاب والسفور

بقلم

العلامة البارع الاستاذ الهمام الشيخ

جعفر الحاج محمد النقدي

دام ظله

١٣٤٠ هجرية

مطبعة الآداب ببغداد

كتاب

الحجاب والسفور

بقلم

العلامة البارع الاستاذ الهمام الشيخ
جعفر الحاج محمد النقدي
دام ظله

١٣٤٨ هجرية

مطبعة الآداب * بغداد

الحمد لله ذى الجلال والاكرام والصلواة والسلام على محمد وآله الكرام ماأسفر صبح ودجي ظلام (وبعد) فان هذا العصر الذى أوجدت ضروفه او صروفه اختلاط الشرقيين بالغربيين وخطف برق مدنيتهم المادية ابصار بعض من لا زال يتخبط فى دياجير الظلام كثر اسم الاصلاح والمصلحين حتى صار كل من ساعده الوقت على التشبيه بأبناء الغرب يرى نفسه مصلحاً ويشن الغارة الشعواء على الاداب الاسلامية الحقة وعلى العادات الدينية النزيهة طمعاً فى ترويج اغراضه الشخصية ومقاصده النفسية كالجماعة الذين يطالبون بسفور النساء وهتك حجاب العفاف عنهن وابرازهن الى ميادين الاعمال زاعمين ان المدنية لا تتم بدون ذلك والعمران لا يكمل بغير هذا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً فاحببت ان اجمع ما يمكننى جمعه من الادلة السمعية والعقلية حول وجوب الحجاب وان اشرح الاضرار الناجمة من السفور مستشهداً بأقوال علماء الغرب وفلاسفتهم علما منى ان القوم لا يقتنعون بآراء غيرهم فألفت كتابى هذا طالباً وجه الله والاجر الجزيل ؟

مؤلف مفدى

المرأة والمدنية المادية

المرأة هى المخلوق الذى انشأه البارى تعالى حرثاً للرجل و زين كلا منهما في عين الاخر و ربط قلبيهما برابطة الحب تكثيراً للنوع الانسانى و كلفها بما كلف به الرجل من الدين و الايمان و تصديق الشرائع والرسل و الامتثال للاوامر الالهية و الانتهاء بالنواهى الربانية واوجب على الرجل القيام بشؤنها وسد خلتها من الانفاق عليها بجميع ما يؤمن حياتها و يضمن ارتياحها و كلفه بالسعى والطلب لمعيشته ومعيشتها و لم يكلفها سوى تربية ذراريها ومداراتهم كما انه جل وعلا جعل امرها الى الرجل فقال عز من قائل (الرجال قوامون على النساء) الاية . وحثها على غض البصر من غير محارمها و عدم ابداء الزينة لسواهم فقال جل وعلا (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن او نسائهن) الاية ونهى عن الخلوة بالاجنبية مع عدم حضور احد محارمها على لسان نبيه الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى فقال صلى الله عليه وسلم (لا يخلو احدكم بأمرأة الا مع ذى محرم) وكان (ص) لا يأذن للمرأة بالخروج من بيتها الا لحاجة

تخشى فواتها فضلا عن ان تسافر وحدها ولذلك قال (المرأة عورة وانها اذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان) كل ذلك لحفظ النظام البشرى وتأمين العائلة الانسانية وسداً لباب الفتنة وكفاً عن دواعى الفاحشة ومنعاً لتداخل الانساب ووقاية عن اختلاط المواريث وغيرها مما لا يخفى على كل مفكر. والمدنية المادية ساوت بين الرجل والمرأة ولم تفرق بينهما فى جميع الشؤون فاصبحت المرأة تشتغل فى الاسواق وتعمل فى المعامل وتستخدم في المطاعم (الاوتيلات) والمقاهى وتقف فى صف المحامين امام المحاكم وتجالس الرجال الاجانب في النوادى وتسايرهم في المتنزهات وتخاصرهم في محافل الرقص وتتقامر معهم فى اندية الميسر وتنادمهم في مجالس الانس والطرب وتسافر وحدها الاسفار وهكذا وصار ذلك معدوداً من عوائد هذه المدنية ونحن لا نلوم من رضى بها من اهلها لانه اعرف بدينه وعاداته وانما نوجه اللوم على جماعة من شباننا المتعلمين الذين عقدنا عليهم الامال فى ان يخدموا دينهم الحنيف وامتهم الكريمة بما يخفف بعض الويلات ويداوى شيئاً من الالام واذا بهم جاؤوا يحملون الى الاقطار الاسلامية أوقاراً من هذه المدنية ويطلبون من النساء المسلمات ان يخضعن لها ويطأطأن رؤوسهن امامها كأنهم يريدون دك التعاليم الاسلامية الحقة وهدم التقاليد الدينية المحبوبة بترك المرأة حبلها على غاربها تعمل ما شاءت وشاءلها الهوى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً

فى كل يوم ينشرون كتاباً وينظمون مقالا بأسم تحرير المرأة وتجديد نهضتها وغير ذلك من المشجعات التى تدعوها الى هتك الستر وترك العفاف والخروج من عاداتها الكريمة من غير تأمل فى العاقبة ولا تفكر فى المآل .

ان أهل هذه المدنية انفسهم يتذمرون من طغيانها وينذرون قومهم ان يخرجوا من طوفانها واياً انقل شيئاً من كلماتهم تحذيراً للمسلمين والمسلمات خشية من وقوع احد منهم في تلك الاشراك المنصوبة

قال الاستاذ (ساموبل سمايلس) وهو من اركان النهضة الانجليزية وصاحب المؤلفات المهمة في كتابه المسمى (الاخلاق) (ان النظام الذى يقضى بتشغيل المرأة فى الفابريكا مهما نشأعنه من الثروة للبلاد فان نتيجته كانت هادمة لبناء الحياه المنزلية لانه هاجم هيكل المنزل وقوض اركان الاسرة ومزق الروابط الاجتماعية فانه بسلبه الزوجة من زوجها والاولاد من اقاربهم صار بنوع خاص لا نتيجة له الا نسفه اخلاق المرأة لان وظيفة المرأة الحقيقية هى القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها وتربية اولادها والاقتصاد فى وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيتية ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث اصبحت المنازل غير منازل واضحت الاولاد تشب على عدم التربية وتلقى فى زوايا الاعمال وطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن

كونها الزوجة الظريفة والقرينة المحبة للرجل وصارت زميلته في العمل والمشاق وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالبا التواضع الفكري والاخلاق الذي عليه مدار حفظ الفضيلة) وقال (لويز يرول) في المجلد الحادي عشر من مجلة المجلات تحت عنوان . الفساد السياسي (ان فساد الاسس السياسية وجد في كل زمان ومن الغريب المدهش ان مظاهره في الزمن السابق مشابهة تماما لمظاهره في الزمن الحاضر بمعنى ان المرأة كانت العامل الاقوى في هدم الاخلاق الفاضلة) «١» ثم اخذ يقارن بين العلامات المنذرة اليوم وبين ماكان في عهد الجمهورية في الرومان حتى قال (لقد كان الرجال السياسيون في اخر عهد الجمهورية الرومانية يعيشون بصحبة النساء ذوات الطباع الخفيفة اللاتي كان عددهن بالغاً حد الكثرة فصار الحال اليوم كما كان في ذلك العهد ترى النساء اندفعن في تيار الحب البالغ حد الجنون وراء البذخ واللذات) وقال (جون سمون):

(يجب ان المرأة تبقى مرأة فانها بهذه الصفة تستطيع ان تجد سعادتها وان تهبها لسواها فلنصلح حال النساء ولكن لا نغيرها ولنحذر من قلبهن رجالا لانهن بذلك يفقدن خيراً كثيراً ونفقد نحن كل شيء فان الطبيعة قد اتقنت كل ما صنعته فلنا رسها ولنسع

(١) قال البحاثة فريد وجدي . ونعم ما قال . كان الاجدر بهذا الكاتب ان لا يلحق تهمة الافساد بالمرأة لان الرجل هو الذي افسدها وجعلها آلة للافساد لمحض اماله الدنيئة . فمن اخرجها من خدرها غيره ؟ ومن سمح لها بخلع العذار سواه ؟.

فى تحسينها ولنخش كلما يبعد عن قوانينها وامثلتها (قال) يقول بعض الفلاسفة ان الحياة محفوفة بالمكاره اما انا فأقول ان الحياة طيبة هنيئة ولكن بشرط ان يعلم كل من الرجل والمرأة المحل الذى خصصه الله تعالى لكل منهما) هذه بعض كلمات مشاهير القوم و يوجد غيرها اضعافا مضاعفة .

اذا كان أهل هذه المدنية يندون بالسنة فلاسفتهم وكبار كتابهم بهذه المدنية و ينادون منها بالويل والثبور فكيف بنا مع مانحن فيه اذا اصبنا بدائها — والعياذبالله — على انهذه الامور التى يتطلبها الشبان المتفرنجون من النساء المسلمات هى امور تخالف العادات الشرقية بتاتا و لا تجتمع معها مضافا الى مخالفتها للدين الاسلامى الكريم وعدم اجتماعها مع شريعته الغراء .

أباحت المدنية المادية للمرأة ان تخرج من بيتها وتختال فى مشيتها تساير الرجل الاجنبى عنها فى الطرقات والاسواق والشوارع والمشارع والمنتزهات وتزور النوادى العامة متبرجة قد تزينت بزينتها ولبست الثوب الرقيق المحاذى ركبتيها لا يحجب شيئاً من تقاطيع بدنها وان تعاشر الفتاة الفتى مدة ثم يتزوج بها وكثيراً ما تكون عاقبة هذه المعاشرة وخيمة تؤول بالمرأة الى الانتحار او تتبدل الالفة الكاذبة بالنفر الصادقة فيفترقان (١) فهل يسر سماسرة تلك المدنية ذلك لنسائهم

(١) قال البحاثة فريد وجدى ان نتيجة هذه المعاشره فى اوروبا قد
سببت من المفاسد الاجتماعية ما لواردنا احصاء بعضه للزمنا كتاب خاص.منها

ان المدنية المادية اعدت منتديات للمقامرة (١) تحضرها النساء والرجال فتترك المرأة بلدها وتذهب الى المصائف التى فيها تلك الاندية وقد جاء عن اشهر المقامرين في اوروبا مستر (بيتش ستر) الانجليزى مقالا يشرح فيه تلك الاحوال ويذكر مساويها فمن ذالك قوله (ليس القمار ســـــوى مضيعة لوقت الرجل ومفسدة لاخلاق المرأة ومع ذلك فما من ناد من اندية القمار فى العالم الا وفيه جيش من النساء المقامرات ومعظمهن يقامرن باللعبة المعروفة (الشمان دفير) لانها اسرع الطرق الى الثروة او الى الدمار وفى اندية

خدع الفساق من الرجال للنساء فترى احدهم يتصدى لشابة فيوهمها انه يريد التزويج بها ويظهر لها من الانعطاف والميل ما يخلب لبها فاذا آنس انه تمكن من قلبها عاشرها معاشرة الازواج فتلد منه ولداً او اثنين او ثلاثة ثم يهجرها باولادها هجراً غير جميل فلا تجد هذه المادموازيل ذات الاولاد وســـيلة للخلاص اسهل من الانتحار فان كنت فى شك فانظر الى ما تقوله الاحصاآت ثم نقل عن مجلة المجلات الفرنسية انه حصل فى ايطالية من سنة (١٨٨٩) الى سنة (١٨٩٣) اى مدة خمس سنين (٥٦٩) انتحاراً من جهة النساء وفى فرنسا فى عين تلك المدة (٥٨٦٩) انتحاراً وذكر احصاء الطلاق عن المجلة المذكوره احصاآت الطلاق وقالت فى اخرها الطلاق اذن ينتشر بسرعة عظيمه والمدهش ان ثمانين بالمائة اتية من جهة النساء الى اخر ما قالت.

(١) ذكر هذا المقال برمته فى السياسه الاسبوعية عدد (١٣٤) من سنتها الثانية وذكر ان فى (مونت كارلو ودفيل وديبار وكان وبيازتز) وغيرها منتديات تختص بالمقامرين من الرجال والنساء وللجنس اللطيف فيها الكثرة المطلقة بلا نزاع

القمار تختلط النساء من جميع الطبقات فمن اشرف النساء واغناهن الى احقرهن لا يستطيع المرء ان يفرق بينهن لان مظاهر الجميع تدل على الثروة والجاه ولست ابالغ اذا قلت ان للجنس اللطيف فى معظم اندية القمار الكثرة العددية حتى انك تكاد ترى فى بعض تلك المنتديات امرأتين لكل رجل واحد وقد يثير فيك منظر الحسناء المقامرة شيئاً من الحماسة والاهتمام ، واما منظر المقامرة المجردة من كل اثر للجمال فيثير فيك النفور والاشمئزاز.

واشد من ذلك منظر امرأة قبيحة الوجه تنتصر على كاعب حسناء وتبتز منها مالها فكانما تنتقم منها لانها اجمل منها (الى ان قال) وليس القمار مقصوراً على نساء امة دون اخرى فهو شائع بين جميعهن على السواء ومما يدعو الى الاسف ان داء القمار كثيراً ما يهوى بالمرأة الى حضيض الرذيلة فقد عرفت بعض النساء اللواتى يسمح لهن ازواجهن بالذهاب الى المصايف التى توجد فيها اندية للميسر لقضاء بضعة ايام فيوسوس لهن ابليس ان يقصدن الى موائد الميسر لتجربة بختهن وماهى الا ثلاثة ايام او اربعة حتى يخسرن كلما معهن من النقود ويخشين ان يطلعن ازواجهن على ذلك فيقبلن ما قد يعرضه عليهن بعض مرتادى تلك الاندية من سماسرة الرذيلة وماهى الا الخطوة الاولى حتى يجدن انفسهن في حمأة الاثم ولا يعرفن كيف ينجين منها ولا شك ان معظم حوادث الانتحار بين النساء المقامرات ان لم نقل كلها ترجع الى هذا السبب وهو

خوفهن الفضيحة القاتلة ولهذا صدق القائلون ان منتديات القمار هى قبور للفضيلة)

اذا كانت المدنية المادية بلغت بالنساء اللواتى آمن بها هذا المبلغ فكيف يسوغ للرجل المسلم المتنور ان يرتضيها لفتياته المسلمات وهو يرى ويسمع هذه الامراض الاجتماعية التى اضرت بغيرهن من النساء

ان هذه المدنية قد جعلت الرقص علماً من العلوم وفتحت المدارس للطالبات فتسافر الفتاة من بلادها للبلاد التى فيها تلك المدارس وهى فى الثانية عشرة من عمرها وتتعلم الرقص ومن تلك البلاد (مانشر) و (هليفاكس) و (براوفورد) وغيرها ومن جملة فنون الرقص المذكور ان ينزل الفتى والفتاة على المسرح ويحتضن كل منهما صاحبه بمحضر من الناس وتتلاصق ابدانهما وتتواصل صدورهما ويلتف ساقاهما ويشدان الخناصر تبعاً لتمايلهما الى اليمين والى الشمال ومن العوائد المعروفة انه اذا حضرت الفتاة نادى الرقص ولم يدعها احد من الرجال للرقص معه غضبت وحسبت ذلك اهانة لها واذا دعاها احد ولم تقم معه رأى انها اهانته بعدم قيامها وكم من فتنة تثور فى هذه المقامات

فهل تسمح النفوس المسلمة لنسائهم بهذه الاحوال وهل ترضى المؤمنة الشرقية ان تحذو حذو المتمدنات بهذا الطريق

ان بعض الشعوب الاسلامية اخذت بشيء من هذه المدنية فاصبحت امام مصاعب ومتاعب اعيت الافكار من المفكرين فى التخلص منها فهذا الشعب التركى قد فشت فيه مشكلة الانتحار وقد ذكرت الصحف ان معظم المنتحرين من النساء ولا سيما الطبقات التى اقتبست المدنية الاوروبية فى المدن وان انتقالهن انتقالا فجائياً الى حياة الحرية عرضهن لاوهام لم يكن لهن بها عهد

ان هذه الامور التى ذكرناها هى جزء من كل من احوال هذه المدنية (المدنية المادية) وكيف تتمكن المرأة المسلمة التى خاطبها دينها بقوله عز من قائل (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) ان تتدين بشيء منها نعم التعليم الذى يأمر به دينها هو من الامور المطلوبة منها ونرجيء تفصيله الى ما يأتى انشاء الله تعالى

مركز المرأة فى المجتمع

ووظائفها الخاصة

المرأة لها مركز خاص بين المجتمع الانسانى وضمن العائلة البشرية لا يتمكن الرجل على مشاركتها فيه ولا على مزاحمتها، ولها وظائف خاصة بها لا يقدر الرجل ان يتناولها ولا يمكن ان يتأتى له الحصول عليها لان ذلك المركز وهذه الوظائف لم يأتيا المرأة من طريق السعى والاكتساب بل هما من المواهب الذاتية التى وهبها اياها واهب الحياة لها مركزها الخاص فلكونها زوجة

تارة وكونها اماً اخرى وهاتان الصفتان تجعل الحياة الانسانية محتاجة اليها وغير مستغناة عنها فاذا سمينا الرجل رأس العائلة فعلينا ان نسمى المرأة روح حياتها ورمز سعادتها وشقائها واما وظائفها الخاصة بها فهى الحمل والوضع والارضاع والتربية وهذه الوظائف ترتبط بمركزها الخاص ارتباطاً طبيعيا والغاية منها حفظ النوع البشرى ودوامه حسب ما تقتضيه النواميس الالهية وقوانين الحياة

المرأة كونها زوجة تشاطر الرجل حياته وتساهمه نعمته وترأس ادارته وكونها اماً فلها على الرجل السلطان المطلق بحكم الدين وكونها حاملا ومرضعة ومربية فالرجل تحت رحمتها وطوع ارادتها ورهن رعايتها

مواهب للمرأة من مدبر الكون تأخذ بيدها وتجلسها فى صدر المجتمع وان كانت هى فى غفلة عن تلك المواهب ولو انها عرفت رفيع مقامها واحسنت التصرف في مركزها الخاص واخذت بوظائفها التى اختصت بها وخلقت لاجلها لكان لها شأن مهاب ومكان موقر ولاصبحت امنية البلاد والعباد اذ بتربيتها الابناء يكون لها الامكان التام من التصرف فى الافكار والطباع والتأثير الكامل على الاحساسات والعواطف ولذلك يقول احد الفلاسفة متى ربيتم النساء فلا تهتموا بتربية الرجال فان النساء يربينهم لامحالة .

لا اخال ان مسئلة تأثير المرأة فى البنين بل فى العائلة التى ترأسها تحتاج الى شرح او تفتقر الى بيان لانها مسئلة ضرورية نراها امام اعيننا فى كل وقت وحين نرى الطفل ما دام ملازما لامه يكتسب منها الاخلاق ويأخذ عنها العادات ويحكيها فى الحركات والسكنات ويقلدها فى القول والفعل فاذا كانت الام من ذوات الاوهام والخرافات — وما اكثرهن بين اظهرنا — ترى طفلها يفزع بالوهم ويخاف من ظله ويخشى من خياله يحسب ان الفضاء قد امتلأ بالجن والشياطين وكلهم يريد اختطافه من بين اهله واذا كانت امه من ذوات الحجى والعقل ترى طفلها سالكا مسلكها سائراً على نهجها يسخر بالخرافات ويستهزئ بالاوهام وهكذا الامور الاخرى التى تكتسبها الاطفال من الامهات عادة ولذلك قيل الطفل يكبر وهو صورة مصغرة من امه .

تكتسب العائلة التى ترأسها المرأة اخلاقها وعاداتها حسنة كانت او قبيحة فالمرأة المهذبة الكاملة ذات العقل والمتانة والامانة والرزانة الخفيفة الطبع الباسمة الثغر الفاضلة الاخلاق تنشأ عائلتها نشأة شريفة والمرأة الرعناء ذات الحمق والجهل الشرسة الخؤن البذيئة اللسان الحادة الطبع تنشأ عائلتها نشأة خبيثة تمثل اخلاقها السيئة ، تروى عاداتها المشؤمة على قاعدة الناس على دين ملوكهم .

مهما بلغت المرأة من الرقى الادبى والتعليم فهى لا تستغني عن

الرجل بل لابد لها من معاشرته لتنال مركزها الخاص ووظائفها الحقيقية الامران اللذان نوهنا عنهما آنفا فانها ولا شك فى ذلك لا تنال كمالها الخـــاص ما لم تصر زوجــــة واماً تلد وتربى وتدبر البيت وان كل شئ يبعدها عن مركزها وعن وظائفها فهو ينقص من كمالها ويؤثر عليها التأثير السيئ فاذا صارت زوجة فمن الواجب عليها ان تخضع لشريك حياتها وتنقاد لاوامره وتنزل على حكمه عن رضى ورغبة لاعن اصرار ورهبـــة فان ذلك يقوى مركزها لدى الزوج ويزيد في محبتها واكرامها ولذلك يقول احد الفلاسفة الاوربيين المرأة الطيبة هى التى تمهـــد فى قلب الرجل عاطفتى الرفق والحنان .

واذا صارت المرأة اماً فعليها القيام بشؤون الامومة من جميل التربية وحسن الخدمة لاطفالها لتبرهن على تأديتها الوظيفة كما يرام وتستفيد منهم عند بلوغهم مبلغ الفائدة ماتستفيده الامهات من ابنائهن .

واما تدبير البيت فعليها بذل الجهد فيما ينفع زوجها ويخفف عنه بعض العناء وان تهتم باعمالها المنزلية فانها تعتبر اليوم من الفنون الجميلة سيما مع حسن الترتيب وبديع النظام وان تعتنى بالنظافــة والنزاهة فانهما يجلبان الهناء والسعادة ويوجدان العافية والحبور وان تأخذ بالاقتصاد فى جميع الاحوال فان في ذلك الصون لغناهـا ان كانت غنية والستر لفقرها ان كانت فقيرة وان تعلم ان الاسراف يخل

بزوجها وبحل نظام العائلة ولا اعنى بالاقتصاد ان تجعل يدها مغلولة الى عنقها ولكن اقول لاتبسطها كل البسط بل تأخذ باعتدال حسب ماتقتضيه حالة الزوج واسباب معيشته .

تغافل قوم من عشاق الجديد عن مركز المرأة الطبيعي وعن وظيفتها الحقيقية فسموا انفسهم محرري المرأة وهم فى الحقيقة يريدون استعبادها واخذوا يطالبون بنزولها معهم فى ميدان العمل مقترحين انفصالها عن مواهبها التي خلقت لاجلها فلهم في كل يوم للمرأة استنهاض جديد وتحريض طرى على اخراجها من خدرها الكافل لعصمتها وابرازها من سترها الصائن لشرفها صارخين الاشغال تعطلت الصنائع بطلت العلوم اندرست الفنون انطمست فانهضن ايتها النساء لاحياء مامات من مجدنا وتلافى مامضى من فخرنا ... فكانما هم فرغوا من تكميل الرجال فالتفتوا الى سد الفراغ بالنساء فليت شعرى اين هم عن الشبان الذين يقضون ليلهم ونهارهم في المقاهي والملاهى بل عن الكهول الذين لاشغل لهم الا البطالة والسفاهة فيشغلوهم بتلك الامور التي يندبون النساء للاشتغال فيها حتى اذا بقى شاغراً شئ من الاعمال التى يحتاج اليها المجتمع وليس له عامل من الرجال يقوم به لاشتغال الجميع بأنواع الاعمال ندبوا اليه المرأة .

ان نهضة الرجال اولى من نهضة النساء والرجل اقوى من

المرأة واقدر منها على العمل واصبر على المشاق فلماذا نتركه خاملا يتنقل من مقهى الى مقهى يقهره الافلاس وتهينه البطالة ونذهب الى المرأة الضعيفة التي اشغلتها الطبيعة بأشغال تخصها ووظفتها بوظائف لابد لها من تأديتها ونكلفها بما لا تطيقه من تكليفات اخرى أليس هذا نوع من السفه؟ أليس هذا ضرب من الجنون؟ ولو نظرنا بعين بصيرتنا لرأيناه كل الجنون والسفه .

ان كان الغرض من طلب هذه النهضة هو تقليد الغربيين فهاهم ينادون منها بالويل والثبور ويندون بمن كان سبباً لها ويشرحون ما اصاب مجتمعهم من الاختلال العائلي وانحلال النظام الزوجي وغير ذلك من الامور التى لم يصب منها شيء مجتمعنا ولله الحمد. فمن تلك الصيحات الغربية ما نقلته مجلة الهلال في الجزء ٢ من السنة ٢٦ تحت عنوان (مساوى النهضة النسائية) عن الكاتب الانجليزى المعروف (لودوفتشى) قال بعد ان القى تبعات اسباب هذه النهضة في عاتق الرجال والنساء معاً واستدل بادلة منها النظام الكافل للمرأة الاستخدام فى دور التجارة والصناعة وقضائه قضاء مبرماً على فكرة التمييز بين الرجل والمرأة وان النساء بسببه اندفعن الى الاعمال وهجرن الدور والمنازل وان هذه المساواة بين الرجل والمرأة تمخضت عن مضار كثيرة بالرجل والمرأة والوطن (فمن مساوى هذا التطور العقيم ان ضعفت نخوة الرجل نحو المرأة لان العاملين الان من النساء والرجال الذين تزخر بهم المدن

يتنافسون و يتنازعون البقا. يرمق الواحد الاخر بعين المقت والغيره
وهم يتنازعون كل شيء حتى مقاعد الجلوس في الاماكن العامة فقد
نرى احيانا جالسين في القطار او الترام يتشاغلون بمطالعة الصحف
و يتعامون عن الفتيات المتصبات امامهم لكيلا يتنحوا لهن عن مكانهم
وكذلك ضعف سلطان المرأة عن الرجـــل فان تأثير المرأة
الطبيعى فى الرجل قد خف وقويت فيه روح المقاومة فاصبحت
لا تفعل في نفسه مظاهر المرأة فى زيها الضيق الذى يشف عن
جسمها مع طول اختلاطه بها ساعات النهار وتجد اثر ذلك فى رواج
سوق الازياء والالوان والاصباغ التى يقصد بها نصب الفخاخ
لاصطياد الرجل فلولا ضعف ميله نحو المرأة لكان عمل الفتاة
الهيفاء مع الشاب الانيق فى المصانع والبيوتات التجارية مستحيلا
وفشا الانغماس فى الملاذ والترف فان اكثر العاملات فتيات غير
مقيدات بمنزل او اطفال فهن ينطلقن الى المرح واللهو ومصاحبة
الرفاق وقد هيئ لهن هذه الاسباب توافر المال فى ايديهن فبعد ان
كان الرجل فيما مضى ينوء بعبأ الانفاق على هذه الملاهى اصبحت
المرأة تقاسمه النفقات وتخفف عن عاتقه واصبح بذلك الامر ميسورا
والرجل بعد ان كان ينشىء له عائلة ومنزلا اصبح يؤثر قضاء فترة
سعيدة مع امرأة ما، وليس ادل على ذلك من انتشار المطاعم والمراقص
والملاهى فى السنوات الاخيرة ثم ان معرفة المرأة وسائل منع الحمل
قد هيئت لها وللرجل هذه الحياة الطليقة)

قال : (ومن مساوى هذا التطور العقيم تعلق المرأة بالخيال فالمرأة الجديدة التى عكفت على مطالعة الادب الخيالى لا سيما الروايات قد تلاشت نزعتها الدينية فنشبت بالاوهام التى ترسمها لها الروايات من ادوار البطولة والاعمال الباهرة ودليل هذه الرواج العظيم الذى صادفه الادب الخيالى فى هذه الايام وكون معظم طالبيه نساء فاستحالت المرأة شخصا جديدا يهيم بالخيال ويتملص من الحقائق وليس فيه اى اثر من امرأة قرن مضى فافضى هذا بطبيعة الحال الى كثرة الطلاق ثم تغلبت عناصر الرجولة على المرأة بحكم ممارستها وظيفة الرجل واصطناعها اعماله فكادت بهذا تتلاشى عناصر الانوثة منذ دخلت غمار اعمال الرجل فغلظت فيها العواطف وجمد الاحساس ثم ضعفت فيها ايضا تقاليد الطاعة والانقياد وبذلك بات الرجل عضواً أشل .

ان الرجل الظريف ذا المنظر المغرى قد انزوى واهمل وكثر اختيار النساء لاقل الاشخاص جاذبية وروعة منظر خشية من ان يشتبكوا مع الفتيات الجميلات اللاتى يشتغلن في كل مكان فيكون ذلك عائقاً لهم عن الانصراف الى الخدمة والتقدم في الاعمال لانه بقدر ما عند الرجل من مقاومة لسلطان المرأة وتأثيرها يكون عنده من القوة الدافعة له الى التقدم والنجاح .

وكان من نتيجة ذلك ان ازداد العقم في المرأة فقد بولغ كثيرا فى تعليم البنت في المدارس فانه فضلا عما كان هو مفروضا عليها من واجبات الاولاد التى لا يستطيع عقلها استيعابه فانه فرضت عليها

ايضاً الالعاب الرياضية البدنية الخشنة وتمرين البنت بهذه الالعاب يضر بالجهاز التناسلي ويؤدى حتما الى العقم ... ولقد قرر الدكتور (جيلارد) ان اربعين فى المائة من الاميركيات لا يصلحن بأن يكن امهات ونشر المستر (ستانلى هول) احصائية تفيد ان طائفة كبيرة من الانجلوسكسونيات لا يصلحن ايضاً للامومة فهذا العقم هو نتيجة لازمة لذلك بل هو الثمن الغالى الذى يدفع نظير انعدام التمييز بين الجنسين)

قال (وانحطاط الاطعمة نتيجة اخرى لنهضة المرأة فانه بالنظر لاعمال المرأة شؤون المنزل فقد انحطت حالة الاطعمة وتدهورت واصبحت عملية الطبخ لعبة لاعب ولم يبق منها الا الاثار التى خلفها لنا الاجداد ومنذ ان هجرت المرأة راجت سوق المأكولات المحفوظة فعانت الامة كثيراً من هذه الاطعمة الرديئة واصيبت في صحتها وصحة ابنائها لا سيما فى الاقطار التى تفشت فيها الحركة النسائية . ثم زيادة الاسراف فانه لم يحدثنا التاريخ ان الترف كان في عصر من العصور شعاراً للنساء كما هو اليوم اذ اصبح المال ينفق جزافا بغير حساب على الملابس والملاهى والتنزه والسيارات والمرأة التى تحررت من ربقة المنزل خرجت الى بحبوحة الترف والبذخ تنفق على ملابسها ما كانت تنفقه جدتها على منزل كبير واصبح التدخين ايضاً من لوازم هذا العصر وهذا هو السبب فى ارتفاع اثمانه . وايضاً ازدياد العلاقات

غير الشرعية فانه بالنسبة لانتشار وسائل منع الحمل فقد تدهورت الاخلاق وكثرت العلاقات السرية بين الشبان والفتيات والانتحار والقتل اللذان نسمع بحدوثهما تباعا ما هما الا نتيجة هذه العلاقات وقلما تكون لاسباب اخرى وانما نلمحه فى المرأة من التمرد والشراسة انما يعزى الى هذه العلة والصورة الصحيحة لفتاة اليوم نراها فى الروايات المنتشرة فى كل مكان)

هذا ما يقوله فاضل غربى ادهشته الاحوال فى بلاده وساءه هذا التطور الغريب الذى شاهده من النهضة النسائية الحديثة واخذ ينتقدها برأى صائب وفكر وقاد وبصيرة شفافة يرجو تلافيها او يطلب تداركها ناظراً اليها بعين الخوف والرهبة . وصاحب الدار ادرى .

فماذا يقول اخواننا (طلاب السفور) الذين يطلبون اخراج المرأة المسلمة من حجابها وسوقها الى هذا الموقف الخطر الذى يتذمر منه من كان من المؤسسين له قبلهم وكان يفتخر بهذا التأسيس الى ان رأى بعينى رأسه خطره الهائل وعيوبه المدهشة التى بحث عنها بحثاً دقيماً وهل يجوز لنا فى شريعة العقل والمنطق ان نحرض الكرائم المحصنات على النزول في هذا الميدان الرهيب ... حتما ان من يريد لامته النصح و يأمل لوطنه الخير لا يقدم على ذلك وان اولئك الاخوان بعدما يدرسون هذه الحوادث سيعدلون عن تلك الافكار الفاضحة التى لا يوافقهم عليها شرع ولا عقل والله الهادى الى سواء السبيل .

المرأة والحجاب والسفور

وحكم العقل فيهما

الحجاب لغة هو المنع يقال حجبوا زيداً عن الدخول اى منعوه ومثله حجبوه عن الكلام ويطلق على الستر كما في قول الشاعر :

حجبوها عن الرياح لانى　　قلت يا ريح بلغيها السلاما

اى ستروها وحجبت المرأة وجهها بالنقاب اى سترته

والسفور هو الابانة والظهور يقال اسفر الصبح اى بان وظهر واسفرت المرأة اذا اظهرت وجهها ونزعت عنه الحجاب هذا معناهما اللغوى (واما فى الشرع) فللحجاب اطلاقات ثلاث (الاول) ستر المرأة جميع اجزاء بدنها عدا ما وردت الرخصة به عند الحاجة عن كل ناظر لا يحل له النظر اليها (الثانى) لزومها بيتها وعدم خروجها منه الا وقت الحاجة (الثالث) الحائل الساتر بينها وبين غير محارمها من الرجال وسنشرح هذه الاقسام الثلاثة ونأتى بأدلتها من الكتاب والسنة فى مقالنا الاتى والذى نريد بيانه هنا ان العقل يحكم بوجوب حجاب النساء عن الرجال قبل ان نتعبد بأوامر الشرع وذلك ان الميل القلبى مركوز ارتكازاً غريزياً فى كل من صنفى الذكر والانثى بالنسبة الى الاخر وعلاقة كل منهما بالاخر كعلاقة الاخر به وبهذا كانت الشهوة جبلية فى كليهما لان الوظيفة الطبيعية التى اودعها فيهما بارىء الكون لا تتأتى الا بهذا الميل القلبى . وتلك الوظيفة هى

الاحتفاظ بالنوع وبقاء الجنس وعمران الدنيا وبالنظر الى ان سلسلة الانسان خلقت شعوباً وقبائل ليتعارفوا بينهم لم يمكن اشتراك اثنين او ازيد من الذكور بواحدة من الاناث اذ لو امكن ذلك لفاتت الفائدة من ذلك الجعل لان نسب من تلده هذه الانثى يكون حينئذ مجهولا ضائعاً بين اولئك الشركاء ولا يمكنه الانتساب الى شعب ولا قبيلة اذ من الممكن ان يكون كل واحد منهم منسوباً الى قبيلة غير قبيلة الاخر فان قيل يمكن كون الشركاء فى الانثى من قبيلة واحدة فتنتسب الذرية الى تلك القبيلة (قلت) ان فرض كلامنا فى السلسلة البشرية قبل الانقسام شعوباً وقبائل ولو فرضنا اشتراك الاثنين او الثلاثة فى الانثى الواحدة لما كان هناك شعب ولا قبيلة ينتسب اليه احد لان انتساب الشعب او القبيلة للفرد لا للافراد والمشاركة تمنع الانتساب فتموت الانساب وتتعطل مواريث الابوة والبنوة فكان من الحكمة الالهية ان تختص الانثى بواحد من الذكور وهذا الاختصاص يوجب عليها الاحتفاظ بعفتها وغض النظر عن غير من اختصت به واجتناب الاحوال الموجبة ميلها القلبي لغيره من سائر الذكور الاجانب وترك الامور التي توجب طمع سوى بعلها فيها ممن لا يؤمن شره وهذه الواجبات لا تتأتى لها الا بالحجاب لان المرأة المحتجبة حجابا واقياً تلازم الحياء وتحافظ على الطهارة والعفة وتنفى عن نفسها التهمة امام بعلها والناس وغير المحتجبة لا زالت في قلق دائم ووجل مستمر ان لا ينظر اليها الناظر نظرة

موحشة او يعلق بعرضها شيء من الدنس كما ان بعلها لم يزل يراقب احوالها و يحاسبها على كل صغيرة و كبيرة و لو انا نظرنا نظرة بسيطة على جرائم القتل والانتحار لرأينا اكثرها ناشئاً من سفور المرأة وعدم احتجابها من الرجال واختلاطها بهم قال بعض اهل العلم (ان حجاب المرأة امر يقتضيه العقل السليم وتستحسنه الانسانية والنظام الالهي والناموس الطبيعي فان المرأة غير مكلفة الا بتدبير منزلها وتربية اولادها حسب ما هو المألوف والمستحسن فى العقول و المكلف بان يسعى خارج المنزل و يدبر امر القوت هو الرجل وقد اوجب الدين الحنيف عليه الانفاق على المرأة ولا شك ولا ريب ان اختلاط النساء بالرجال يكون فيه بواعث عديدة لارتكاب الفحشاء لتوفر الدواعي من الطرفين و من المعلوم ان النظر يزيد ذلك الامر القبيح الذى حرمته الشرائع وقبحته العقول لما فيه من اختلاط الانساب وضعف التناصر وقبحه مما لا يحد و ناهيك ان الله تعالى اهلك امماً كثيرة من اجل ارتكابه فالناموس المانع من كثرة وقوعه هو منع الاختلاط بين الرجال و النساء وذلك لا يكون الا بلزوم احد الفريقين للبيوت واذا نظرنا الى الرجال وجدناهم لما كلفوا به من السعى على النفقة خارج المنزل لا يمكنهم لزومها والنساء نظراً لتكليفهن بتدبير المنزل صار لزومهن للمنازل موافقاً لما كلفن به فاقامتهن داخلها تكون هى عين الحكمة وان قيل ان في اقامتهن ضرراً عليهن قلنا مهما فرض ذلك الضرر فالضرر الحاصل من الاختلاط اعظم واشد

وارتكاب اخف الضررين هو الامر المعقول والمشروع ولذلك حكمت الشريعة عليهن بالحجاب وهذا الحكم موافق لمصلحتهن التى كلفن بها ولمصلحة النوع الانسانى وهى حفظ الانساب، على ان النساء اللاتى ينشأن من طفوليتهن محجبات لا يظهر لضررهن من اثر وذلك للعادة التى يألفنها ولا يخفى ان العادة تعد الانسان لقبول ما يعجز عنه بدونها ولذلك ترى بعض الناس يتعود على الامور السامة بحيث انه يتناول منها مقداراً لو تناوله غير المعتاد لاضر به فنحن نرى النساء المعتادات الحجاب يتفاخرن به ويعددنه من اعظم اسباب الصيانة ويعيرن النساء المتبرجات اللاتى لا يلتزمن به وينسبهن للقحة وعدم الصون وما ذلك الا لانهن الفن الحجاب ووجدنه خيراً لهن من التبذل)

هذا والعقل يحكم بمنافع الحجاب ومضار للسفور يجدر بنا ان نذكر شيئاً منها في مقالنا هذا وأن نعرض الى بعضها غيرنا ممن خاض فى هذا الموضوع فمن منافع الحجاب ان المرأة المحجوبة لازالت تحافظ على مركزها الطبيعى ووظائفها التى تختص بها وتخضع لناموس القدرة ونظام الخلقة وتعلم انها خلقت انثى وان المحافظة على انوثتها بما هو بالحجاب ومن مضار السفور خروج المرأة على النواميس وتماديها في التطورات العقيمة التى تضر بحال المجتمع كما تقدم فى مقالنا السابق عن (لودو فتشى) الانجليزى

(ومن منافع الحجاب) انه يكثر عزة صنف النساء لدى صنف الرجال

ويستدعى زيادة رغبة الرجال لعموم النساء لان المحجوب منهما كان تتطلبه النفوس والظاهر المبتذل تقل منه الرغبة (ومن مضار السفور) تقليل رغبة الرجال فى الزواج الشرعي لان الرجل كلما رأى امرأة وقصد ان يتزوجها رأى من هى اجمل منها فيترك الاولى ويقصد الثانية فيرى اخرى تفوقها في الحسن وهكذا ويدلنا على ذلك كثرة العزوبة فى اوروبا وامريكا وغيرهما من بلدان السفور (١) وايضا تكثير الروابط بالاختلاط والسفور بين الرجال والنساء يرفع حجاب الحياء من بينهما ويسهل على الطرفين الاتصال من دون ان يتقيد بقيود الزوجية

(ومن منافع الحجاب) ان الرجل الفقير الغنى النفس الذى يشتغل بصدقه وامانته ولا يحب ان يطلع على حاله احد من الناس لا يتمكن ان يصنع لزوجته من الالبسة والحلى ما تصنعه الاغنياء لازواجهم فاذا كانت زوجته في حجابها لم يتكلف لها زوجها بما يستر به على نفسه من الالبسة والحلى بما لا يتمكن عليه بخلاف ما اذا كانت سافرة فانه مجبور على ذلك ولو من اموال الناس (ومن مضار السفور) الافراط فى التبذير بملابس النساء فان كل امرأة تقصد ان تفوق

---

(١) عن مجلة المجلات الافرنسية عدد ١٨ فى فصل عن المرأة ان الزواج الذى كان آباءنا يعتبرونه ضروريا يظهر انه قد صدم صدمة شديدة فى كل جهة فان الرقى العقلى الذى امتدت به حقوق المرأة يوماً بعد يوم وغرامها الشديد بمساواتها الرجل فى حقوقه وافراطاته كل ذلك يهدد مدركاتنا التى ورثناها على الزواج الى آخر ما قالت من هذا القبيل .

غيرها فى الملابس . ومن نظر نظرة واحدة في الصحف اليومية التى تنشر بين آونة واخرى اثمان ملابس السافرات علم ذلك . وقد نقلت مجلة الحارس البيروتية اللبنانية فى عددها الخامس من سنتها الخامسة ان السيدات فى الولايات المتحدة ينفقن على اصلاح شعرهن في السنة ١٥ مليون ليرة انكليزية وهو مبلغ يزيد ٤ مرات على نفقات الحكومة الاميركية لانشاء مدرعاتها الجديدة ونشرت الصحف قريباً ان احدى الممثلات فى باريس لبست ثوباً من الذهب الخالص يقدر ثمنه الف ليرة انكليزية وهو يعد اغلى ثوب لبسته ممثلة . ولنكتف بما ذكرناه حول هذه المنافع والمضار ونتكلم حول الحجاب فى الشرع لان ادعياء السفور لا زالوا ولم يزالوا يقرعون اسماع العامة من الناس بأن الشرع الاسلامى لم يأت بالحجاب وانما اتى به المسلمون من تلقاء انفسهم وربما صدق مايقولونه بعض العامة من غير مراجعة اهل العلم وطالما سمعت بالنزاع والجدال الذى قام في النوادى والمقاهى بهذا الخصوص واقتصرت على الادلة القرآنية وما يناسبها من الروايات لان القوم لا يأبون من الطعن على الرواية ولا يسعهم انكار الاية وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب .

الحجاب الشرعي والادلة على وجوبه

سبق فى مقالنا المتقدم ان الحجاب فى الشرع الشريف ينقسم الى اقسام ثلاثة وارجأنا تفصيل الكلام عليها لمقالنا هذا (فنقول)

(القسم الاول)

هو ستر المرأة جميع اجزاء بدنها عدا ما وردت الرخصة به عند الحاجة عن كل ناظر لا يحل له النظر اليها والدليل عليه قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن اونسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)

ووجه الاستدلال بهذه الاية ان الله تعالى امر الرجال بغض الابصار وحفظ الفروج عمن لا يحل لهم وامر النساء بمثل ما امر به الرجال وزاد فى النساء ان نهاهن عن ابداء زينتهن فعلم من ذلك النهى عن ابداء البدن بطريق اولى لان النهى عن الزينة انما جاء

خوفا من الوقوع في الفتنة بالزينة بها ولم يجئ النهي عن الزينة لذاتها والا لكان النظر اليها حراماً وهي في حانوت بائعها لان الغرض منها هي الامور التي تتزين بها المرأة من ثياب وحلي وكحل وخضاب وامثالها وقوله (الا ما ظهر منها) عن ابن مسعود ان المراد الثياب، وعن بن عباس الكحل والخاتم والخضاب في الكف وعن غيرهما الوجه والكفان ويروى عن ائمة اهل البيت (ع) فالاستثناء دل في الجملة على جواز ابداء المرأة محل الحاجة من الوجه والكفين ليس غير وذلك عند الحاجة وذلك كحملها شيئاً بيدها او كشفها وجهها عند اداء الشهادة مثلا وقوله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الخمر جمع خمار والخمار هو المقنعة وهي ما تغطى به المرأة رأسها وينسدل على جنبيها والجيوب جمع جيب وهو معروف وانما امرن النساء بالقاء المقانع عليها قيل لانها كانت واسعة تبدو منها الابدان وقيل كنى بالجيوب عن الصدور وقيل هذا الامر انما ورد على النساء ليغطين شعورهن ونحورهن واقراطهن وصدورهن لانهن كن يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو منهن هذه الامور وقوله تعالى (ولا يبدين زينتهن) الاية ، المراد من الزينة هنا غير الزينة المتقدمة لان تلك الزينة الظاهرة وهذه الباطنة التي يجوز النظر اليها للاصناف الذين استثنتهم الاية وقيل المراد الجلباب والخمار وهو المروي عن بن عباس والمراد بنسائهن النساء المسلمات دون غيرهن من المشركات والكتابيات ما يكن امائها وهو معنى قوله تعالى اوما

ملكت ايمانهن والمراد بالتابعين غير اولى الاربة قيل هم الرجال التابعون للخدمة لاجل الطعام ولا ارب لهم فى النسا" والاربة فعلة من الارب ومعناها الحاجة وقيل هم الشيوخ الطاعنون فى السن وقيل هم الممسوحون الذين قطعت آلات شهواتهم وقيل هم البله من الخدم وقوله تعالى (او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) المراد جماعة الاطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الشهوة ولم يعرفوا ما هى العورة وقوله تعالى (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) اى اذا مشين لا يضربن الارض بارجلهن ليعلم انهن قد تزين بالزينة وهى الخلاخيل وانما نهين عن ذلك لانه يجلب ميل الرجال اليهن مبالغة فى الستر والحياء ويدلنا هذا على شدة اعتناء الشارع الاقدس بأمر الحجاب ويؤيد ذلك ما روى عن النبى (ص) انه قال (صلاة المرأة فى بيتها خير من صلاتها في حجرتها وصلاتها فى حجرتها خير من صلاتها في دارها وصلاتها في دارها خير من صلاتها فى المسجد) او خير من صلاتها خارج دارها على الروايتين . وروى عنه (ص) (المرأة عورة اذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان وانها لا تكون اقرب الى الله منها فى قعر بيتها) والروايات من هذا القبيل كثيرة جداً مروية بطرق عديدة لدى سائر الفرق الاسلامية ومن الادلة على وجوب هذا القسم من الحجاب قوله تعالى (يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن)

وجه الاستدلال بهذه الاية ان الجلباب هو خمار المرأة الذى

يغطى رأسها ووجهها اذا خرجت لحاجة كما ذكره المفسرون او القميص او ثوب اوسع من الخمار كما في كتب اللغة وكيفما كان فقد روى عن ابن عباس في تفسير هذه الاية ان الله تعالى امر نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن فى حاجة ان يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة وعن بن سيرين سألت عبيدة السلمانى عن قوله تعالى (يدنين) الاية . فغطى وجهه ورأسه وابرز عينه اليسرى وقال هكذا يصنعن .

والسبب في نزول هذه الاية ان النساء فى اول الاسلام كانت المرأة منهن تخرج الى الطريق من غير حجاب على ما كان عليه بعض عرب الجاهلية لافرق بين الامة منهن والحرة وكان الفتيان يتعرضون الاماء ويمازحونهن وربما كان يتجاوز المنافقون الى ممازحة الحرائر فاذا قيل لهم في ذلك قالوا حسبنا هن اماء فقطع الله عذرهم بامر الحرائر بالحجاب فكن يتحجبن والاماء يسفرن وقد روى عن انس انه قال مرت جارية بعمر بن الخطاب متنقبة فعلاها بالدرة وقال يالكاع أتتشبهين بالحرائر القى القناع .

(القسم الثانى)

من اقسام الحجاب فى الشرع لزوم المرأة بيتها وعدم خروجها منه الا وقت الحاجة والدليل عليه قوله تعالى (يا نساء النبى لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية

الاولى واقمن الصلواة وآتين الزكواة واطعن الله ورسوله) الاية ،
ووجه الاستدلال ان الله تعالى خاطب نساء النبي انهن ان اتقين
فقدرهن عنده فوق غيرهن من النساء شرط عليهن التقوى ليبين ان
فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي (ص) ثم نهاهن عن الامور
التي تنافي التقوى للنساء فقال تعالى (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى
فى قلبه مرض) اى لا ترققن القول ولا تلن الكلام للاجانب عنكن
فيطمع فيكن من في قلبه مرض الريبة والفجور فيبين تعالى ان الرجل
المريض القلب اذا كلمته المرأة بالقول الرقيق او الكلام اللين يطمع
فيها وتطميع المرأة الاجانب فى نفسها مناف للتقوى ومخالف للورع
الذى يراد منها ثم قال تعالى (وقلن قولا معروفا) اى تكلمن بكلام
برئ من التهمة بعيد عن الريبة (وقرن في بيوتكن) اى اثبتن
فى بيوتكن والزمنها (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) التبرج ضد التستر
وهو اظهار المرأة محاسنها مأخوذ من البرج وهو السعة فى العين وطعنة
برجاء اى واسعة وفى اسنانه برج اذا تفرق بينهما والمعنى لا تخرجن على عادة
النساء اللاتى فى الجاهلية ولا تظهرن زينتكن كما كن يظهرن ذلك وقيل
التبرج التبختر والتكسر فى الشيء والجاهلية الاولى ماقبل الاسلام وهذه
الاية وان جاء الخطاب فيها لنساء النبي (ص) لكن بيان لامور المنافية
لتقوى النساء عام اذ لا اختصاص لنساء الذين ان يطمع فيهن الذى
في قلبه مرض ولا دليل على جواز بقاء غيرهن على تبرج الجاهلية
فالتقوى تراد من نساء النبي (ص) ومن عموم النساء غيرهن على
السواء وهذا لا اشكال فيه ولا ريب .

(القسم الثالث)

وجود الحائل الساتر بين المرأة وبين غير محارمها من الرجال عند اجتماعهم او انفرادهم اذا كانت هنالك حاجة تدعو الى ذلك والدليل عليه قوله تعالى (واذا سألتموهن فاسئلوهن من وراء حجاب ذلك اطهر لقلوبكم وقلوبهن) ووجه الاستدلال ان الله تعالى خاطب المؤمنين انهم اذا سألوا نساء النبي ان يسئلوهن من وراء حجاب وان ذلك اطهر لقلوبهم وقلوبهن وهن امهات المؤمنين كما قال تعالى (ونساءه امهاتكم) والمؤمنين اولادهن فالحجاب اذن لغيرهن يكون بالاولوية لان الانسان مهما كان ساقطاً فاجراً لا تحصل عنده الريبة مع محارمه بخلاف النساء الاجنبيات وهذه الاية كاية التبرج لا اختصاص لها بنساء النبي (ص) بل هي عامة لعموم المؤمنات بعد ما عرف اصل السبب وفي اقسام الحجاب الثلاث وردت السنة الكريمة . روى الترمذي وغيره عن بنهان مولى ام سلمة انها حدثته انها كانت عند رسول الله (ص) وميمونة قالت فبينا نحن عنده اذ اقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه فقال رسول الله (ص) احتجبا منه فقلت يارسول الله اليس هو اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال (ص) أو عمياوان انتما ألستما تبصرانه ، وعن ابن عباس قال كان الفضل بن العباس رديف النبي (ص) فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل النبي (ص) يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر ، وعن امير المؤمنين (ع) انه (ص) لوى عنق الفضل

فقال العباس يارسول الله لويت عنق بن عمك قال رأيت شاباً وشابة فلم آمن عليهما الشيطان وعن امير المؤمنين (ع) قال كنت عند النبي (ص) فسئل اصحابه اى شئ خير للمرأة فسكتوا فلما رجعت قلت لفاطمة اى شئ خير للنساء قالت لا يرين الرجال ولا يرينهن فذكرت ذلك للنبي (ص) فقال فاطمة بضعة مني وعن انس بن مالك قال جائت النساء الى رسول الله (ص) فقلن يارسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله فالنا عمل ندرك به فضل المجاهدين فقال (ص) من قعدت منكن في بيتها فانها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله وعن ابن عباس عنه (ص) لا يخلون احدكم بامرأة الا مع ذي محرم . وقال (ص) لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تسافر الا ومعها ذو محرم . وقال (ص) باعدوا بين انفاس الرجال والنساء فان كانت المعاينة واللقاء كان الداء الذي لا دواء له هذا ما اردنا بيانه حول الحجاب في الشريعة الاسلامية.

المرأة والتعليم

تتألف حياة الانسان الاجتماعية من الرجل والمرأة كليهما ولا يمكن الاستغناء عن احدهما بالاخر حسب الناموس الطبيعي فكل واحد منهما محتاج اليه لوظائف خاصة به ومطلوبة منه يتمكن على تأديتها لتنظيم شؤون الحياة . اما وظائف الرجل فمعلومة

لا تحتاج الى البيان ...

واما وظائف المرأة فكونها مخلوقة لعبادة وزوجة لرجل ووعاء لحمل ومرضعة لوليد واماً لاطفال وربة لبيت وقيمة لادارة فلابد لها من طلب العلم الذى ينهض بها عند اداء وظيفتها هذه حتى تتمكن من القيام بواجبها وعلى الفوز بالسعادة فى دنياها واخراها وقد حمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) على العلم المختص بهذه الوظائف بالنسبة الى المرأة واما بالنسبة الى الرجل فلا حمل لان تكليفه عام يوجب عليه الطلب المطلق.

ان اهمال المرأة وعدم العناية بتربيتها يعرضها للخطر الدائم ويسجل على حياتها صك الشقاء الابدى سيما اذا تهيأت لها اسباب البطالة وتحكمت في مجامع قلبها اهواء التصنع والزينة وخرجت من خدرها الكافل لعصمتها ولم يكن لها رادع من الحكمة ولازاجر من العلم الصحيح وان الاعتناء بتربيتها وتعليمها يوجب اسعادها ويخرجها من الظلمات الى النور وينقذها من نيوب الاوهام المهلكة والاهواء القتالة فاذا اردنا القيام بشؤنها فى التربية والاخذ بيدها فى التعليم وفكرنا فى الغاية التى تحصل عليها منها وتلك الغاية هى صيرورتها امرأة تتمكن من التمتع بخصائص الانسانية وتقتدر من تناول المواهب البشرية فلا بدلنا من ان نوكل امرها الى الدين ونجتهد في تربيتها وتعليمها ضمن دائرة الدين فحسب

ولا تتجاوز عن تلك الدائرة الكريمة ولا تتعدى حدوده الموقرة والا ندمنا حيث لا ينفع الندم وفى كلام الفيلسوف الفرنساوى (جول سيمون) العمرانى المشهور عبرة لمن اعتبر حيث يقول:

(كان الناس فى سنة ١٨٤٨ م يشكون من عدم الاعتناء بتهذيب النساء وتربيتهن ولكنهم بالعكس يشكون اليوم من ان ذلك التهذيب قد بلغ حد الافراط نعم لا نشك في اننا خرجنا من تفريط الى افراط هائل) وقال ايضاً:

النساء قد صرن الان نساجات وطباعات و . و . وقد استخدمتهن الحكومة فى معاملها وبهذا قد اكتسبن بعض دريهمات ولكنهن فى مقابل ذلك قد قوضن دعائم عائلاتهن تقويضاً وهناك نساء ارقى من هؤلاء يشتغلن بمسك الدفاتر وفى محلات التجارات ويستخدمن في الحكومة بصفة معلمات وبينهن عدد عديد فى التلغرافات والبوسطة والسكك الحديدية وبنك فرنسا والكريدى ليونيد ولكن هذه الوظائف قد سلختهن من اسراتهن سلخاً)

لم يهمل الدين الاسلامى امر المرأة ولم يتركها تتخبط فى دياجير الجهل كما يقول المتعصبون على الاسلام بل امر بتعليمها تعليما يوافق طبايعها ويلائم احساساتها ويناسب عواطفها ولما كانت المرأة رقيقة الطبع ضعيفة القوى(١) سريعة التأثر كما يشاهد ذلك

(١) عن كتاب إيجاد النظام للفيلسوف (برودن) (ان نسبة مجموع قوى الرجل الى مجموع قوى المرأة كنسبة ثلاثة الى اثنين فتحريرهن هو تسجيل

منها بالضرورة اوجب الدين الحنيف على الرجل مداراة احوالها وحسن معاشرتها وكلفه بادارة شؤنه الحيوية وعدم الضغط عليها بما يحصل معه انكسارها وحدد لها وظائفها الخاصة بها فالتعليم الذى يكون للمرأة ضمن دائرة الدين هى ان تحيط علماً بالامور الاتية:

(١) القرآن الكريم وتصحيح القراءة فيه

(٢) المبادئ الدينية والعقائد الاسلامية لتكون امرأة متدينة ممتثلة لاوامر الدين مجتنبة لنواهيه صحيحة العقائد قد نشأت منشأ مباركاً وعلمت مالها وعليها من الحقوق التى فرضها الله تعالى

(٣) الاخلاق لتكتسب الفاضلة منها كالحياء والعفة والصدق والامانة والوفاء وتجتنب السافلة كالوقاحة والتبذل والكذب والخيانة والخداع وتكون قدوة صالحة للذكور والاناث من اولادها وريحانة عبقة لزوجها وروضة غناء للنساء من اقاربها وجيراتها.

(٤) العربية كالنحو والصرف والمعانى لتقويم لسانها وتهذيب منطقها.

(٥) التفسير لتفهم ما تتلوه من كتاب الله وتستفيد من حكمه ومواعظه واحكامه.

الشقاء عليهن تسجيلا شرعياً ان لم نقل تسجيل العبودية) واثبت الاستاذان (يتكولس) و(بيلية) ان الحواس الخمس عند المرأة اضعف منها عند الرجل وان مخ الرجل يزيد على مخ المرأة بمقدار مائة جرام فى المتوسط.

(٦) التربية وهى من اهم الأمور لها لانها المدرسة الاولى للبنين والبنات .

(٧) معرفة ادارة المنزل لانها من خصائصها التى لا يشاركها فيها احد واذا ارادت التوسع فالخياطة و الغزل وامثالها مما لا يحرجها عن كونها مرأة ولا يستوجب تمردها على نواميس الطبيعة (١)

المدنية المادية ساوت بين الرجل والمرأة فى التعليم وابرزت المرأة الى ميدان العمل وتركتها تكافح فى طلب رزقها ضمن معترك الحياة ولكن ما الذى حصلته من تلك المكافحة وما العائد الذى عاد عليها من جهودها اما نحن فلبعد المسافات التى بيننا وبين تلك المرأة لم نتمكن على شرح حالتها ولكن اليك ما يقوله علماء تلك المدنية انفسهم ونكتفى في النقل على ما نقله البحاثة (فريد وجدى) عن اثنين من اساطين علمائها .

قال المفكر الشهير (لوسون) فى مجموعة سنه ١٨٩٧ م من مجلة المجلات ان كثيراً من النساء يشتغلن في اقسى الاعمال ولا ينلن الا ما يساوى عشرين سنتيماً فى اليوم وليس شكل مأكلهن الا العيش المطبوخ مع شغل اوراق الشاى كل هذا لكونها لا تقوى على

(١) قال العالم الفرنساوى (لوحوفية) يجب ان المرأة تبقى مرأة وقال (حول سيمون) ولنحذر من قلب النساء رجالا لانهن بذلك يفقدن خيراً كثيراً وقال ايضا المرأة تشتغل خارج بيتها وتؤدى عمل عامل بسيط ولكنها لاتؤدى عمل امرأة وقال العقاد الانوثة خصلة نود ان تستبقيها المرأة الشرقية فى اساسها لا فى تفاصيلها .

مزاحمة الرجل ابداً فتراها كلما همت بموضوع فيه خير لها زاحمها الرجل فيه واستعان على السبق فى تحسينه بقوة جلده وصبره حتى فى الخياطة وتزيين الرأس) قال :

(يقولون وماتلك الدكتورات والمهندسات نقول اولئك اسعدهن الحظ بآبائهن الاغنياء فصرفوا عليهن مايوازن جسمهن ذهباً وقليل ماهن بالنسبة لغيرهن من الفقيرات اللائى يكدن يمتن جوعاً ومع ذلك فهل هن طائعات لاحكام السنن الطبيعية .. اما كان يجدر بالدكتورة والمهندسة ان تكون والدة مهذبة تلد خمسة دكاترة وخمسة مهندسين ينفعون النوع الانسانى ويكثرون النسل ويعملون على فلاح الامة)

وقال (فورييه) وهو اشد انصار حرية المرأة (ما هى حالة المرأة اليوم انها لا تعيش الا فى الحرمان حتى فى عالم الصناعة الذى الم الرجل بجميع انحائه لغاية الاشتغالات الدقيقة بالخياطة وشغل الريش. أما المرأة فيراها الناس منكبة على اشق الاعمال فى الخلاء فماهى اذن مصادر الحياة بالنسبة للنساء المحرومات من المال المغزل ام جمالهن اذا كان لهن جمال . نعم ان حيلهن الوحيدة هو السفاد العلنى او السرى ليس الا وهى الحيلة التى تنازعهن الفلسفة فيها الان - هذا هو الحظ التعس الذى الجأتهن اليه هذه المدنية وهذا الاستعباد الزوجى الذى لم يفكرن للان فى مهاجمته هل يمكن ان نرى ظلا من العدالة فى حظ النساء هذا)

اقول هل لنا ان نفكر يوماً ما فى مساواة المرأة بالرجل بعد ان نسمع مثل هؤلاء المفكرين يشرحون هذه الاحوال ويتضجرون

منها هذا التضجر العظيم . وهل نعتبر بابقاء المرأة المسلمة فى خدرها ونعلمها ضمن دائرة دينها وهى محتجبة بحجابها محفوظة كرامتها عارفة بوظائفها التى خلقها الله تعالى لاجلها ونترك التحكم على احكام القدرة وندع الخروج من قوانين الفطرة وقد قال نبينا العربى (ص) (المرأة عورة وانها اذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان وانها لا تكون اقرب الى الله منها فى قعر بيتها) جعلنا الله ممن استمعوا الحديث فاتبعوا احسنه .

المرأة السافرة والعمل

عاشت المرأة زماناً طويلا في ظل الدين الحنيف الذى امرها بالتحجب عن الاجانب من الرجال وعدم ابداء الزينة لغير من ذكروا فى كريمة (ولا يبدين زينتهن الا) الاية ، عاشت وهى محفوظة الكرامة طاهرة الذيل متجلببة جلابيب العز والشرف ...

والحجاب وان كان حينذاك من شعائر المرأة المسلمة ولكن شاركتها فيه غيرها من بنات الملل الاخرى على قاعدة تشبيه الضعيف بالقوى كما ينبأنا التأريخ بذلك .

حتى اذا دالت الايام وانتقلت السيطرة والقوة من الشرق الى الغرب وازهرت المدنية المادية ربوع اهلها واخذت الحضارة مأخذها من ارباب الترف والبذخ ومال ذو السلطه القاهرة الى

الانغماس فى الشهوات والاختلاط بالجنس اللطيف كما يقولون رفعوا عنها حجابها وابرزوها من خدرها وفصلوها عن اختها المسلمة وقارنوا بينها وبين الرجل واغراها قوم منهم الى المطالبة بحقوق هى ليست لها وتنافى وظائفها الخاصة بها ووقفوا اماما وقفة الناصح المشفق على انهم من الد اعدائها لوفكرت وتبرع آخرون بالمحامات عنها لغايات هم اعلم بها حتى انالوها شيئاً من تلك الحقوق بالرغم من انذارات الفلاسفة وذوى الافكار منهم حسب ما نشرنا جملة من اقوالهم وافكارهم فى مقالاتنا فاصبحت المرأة فى الغرب جنساً ثالثاً بين الرجال والنساء كما يقول الاستاذ (جيوم فريرو)(١) وفى هذه الاونة الاخيرة التى لعبت فيها خمرة الشهوات بعقول الاتراك ونشب في نفوسهم داء تقليد الغرب فى جميع شؤنهم واخرجوا ربات خدورهم الى مجالس الاختلاط واجبروا ذوات الحجاب على السفور ارادوا تكميل هذا التقليد

(١) قال الاستاذ «جيوم فريرو» استاذ الابحاث فى احوال الانسان وتطوراته كما عن مجلد سنة ١٨٩٥ من مجلة المجلات (يوجد فى اوربا كثير من النساء اللواتى يتعاطين اشغال الرجال ويلجئن بذلك الى ترك الزواج بالمرة واولاء يصح تسميتهن بالجنس الثالث اى انهن لسن برجال ولا نساء لذاتهن للاول طبيعة وتركيباً وللاخريات وظائفا واعمالا) سالى ان قال «وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون وخامة عاقبة هذا الامر المنافى للسنن الطبيعية فان هاته النسوة بمزاحمتهن للرجال صار بعضهن عالة على الجمعية لا يجدن ما يشتغلن به ولو تمادى الحال بهذا نشأ خلل اجتماعى عظيم الشأن

فالفوا اصنافاً من النساء العاملات وانى احيل القارئ الكريم الى
النظر فى الجرائد اليومية لاخذ المعلومات عن نتائج ذلك التطور
الغريب وعما جر ويجر على اهله من الويلات والذى يهمنى نقله
هنا هو ما قرأته فى بعضها عن الامرأة المساة مبرورة شاكر احدى
تلك العاملات من تصريحها ببعض الحقائق التى جرت عليها فى
اثناء العمل لينتبه اهل الاغراض (وبالاحرى ذو والامراض)
ان المرأة المسكينة قد تبلغ بها السفور الى حالة يرثى لها وان هذا الذنب
كله فى عاتق من هتك سترها واباح خدرها قالت :

(التصريح ببعض الحقائق صعب جداً وقل من لا يكذب ان
ارغم على بيان بعضها . نكذب على الناس ونكذب على انفسنا
ويضلل بعضنا بعضا . اذا القى السؤال على اى رجل كان فلا
يجيب الا سلبا . كلا ان المرأة لا تجبر على استخدام جنسيتها في العمل
الذى تتعاطاه والحقيقة انهم يكذبون انهم يقولون غير
الذى يعتقدون .

ان الرجل لا يتطلب من المرأة مجرد الذكاء والقابلية انه يتطلب
منها تركيباً ممزوجاً بجنسيتها ايضاً .

انا فتاة رمتنى الظروف فى احضان الحياة العملية منذ سنوات
خمس وها انى اصرح نظراً لاختبارى طول هذه المدة ان المرأة
لا تنجح بعملها مالم تستعمل جنسيتها وقد يستخدمها بعضهن
اختيارياً والبعض منهن قسرياً وان سئلت عن الدرجة التى تستخدم

جنسيتها ففي استطاعتي ان اجيب بانها تستخدم جنسيتها بقدر ما يتطلبه الرجل منها.

ان الخطوة التي تتخطاها المرأة في سبيل التقدم العملي مرتبطة بالمقدار الذي تستخدمه من جنسيتها انها لمجبرة على ان تتناول اليد التي يمدها لها الرجل ليرفعها درجة.

اعترافات مرة ولكنها الحقيقة بعينها ان لم تستخدم المرأة جاذبيتها الجنسية في عملها فلا تجديها معلوماتها وشطارتها نفعا.

ان ابواب العمل والتجارة والاقتصاد بيد الرجال في هذا العالم ولكي يفتحوا هذه الابواب في وجوهنا فانا مجبرين على ارضائهم فعلى المرأة التي تريد ان تنجح في عملها التنازل عن شيء غير يسير من انوثتها من ناموسها من شخصيتها،عليها ان تتنازل عن كل ثمين لديها وتراقب الرجل وهو يدوس بقدميه مقدساتها امام عينيها وهن المرغمات على ذلك فالرجل هو الذي وضع قوانين الحياة ونظمها حسب ما اراد ...

قد يعترض البعض ويدعي أن الذكاء والقابلية المقام الاسمى في تقدم العاملين وقد يكون ادعائه هذا صحيحاً ولكن ليس بين النساء فما لم تمزج النسوة مواهبهن بشيء من جنسيتهن فلا ينتظرن التقدير الصحيح الا بعد السنين والاعوام المتطاولة بل ربما انتظرنه ابد الدهر ليعترض على من يعترض وليتقول من يتقول انها الحقيقة شاهدتها بنفسي وخبرتها خمس سنوات. دخلت العمل

وانا احمل شهادة الليسانس اتكلم الافرنسية واضرب الالتين الكاتبتين ولى اعتماد مهم على ذكائى وقابليتى للعمل. دخلت العمل وقصدت ان اقضى حياتى بكد يدى وعرق جبينى يتيمة الابوين ليس لى ناصح ولا من يعدلى سيئات الحياة العملية ومساويها قضيت الاشهر الاولى من حياتى العملية ولم اكمل عملا يروق لرؤسائى كنت اظن انتقادهم لعملى انتقاداً جدياً حيث لم اكن افكر بغير الجد والحقائق وكانت تشتغل بجانبى امرأة اخرى تتألم لفشلى في العمل وتقهقرى المستمر ،دعتنى يوماً لجنبها واسرت باذنى كلمات تفتحى قليلا يا ابنتى دعى هــذا التقطب جانباً ابتسمى لمديرك الرئيس فابتسامة من فمك قد تعمل في ترقيتك مالا تعمله مقدرتك وشطارتك مهما عظما ، فانتهرتها وصحت بوجهها الا انها ابتسمت وقالت يا بنت انك غريبة عن هذه الحياة، الحياة العملية يا ابنتى تستوجب استخدام جنسيتك هذه هى الحقيقة وهذه نواميس الطبيعة لو فرض وتسلمت المرأة زمام العمل لما وجدتيها تعمل غير ما يعمل الرجل اليوم ،لما وجدتيها تستخدم من لا يروق لها من الرجال. هذا التاريخ تصفحى حياة الملكات والمقربين بهن .

تركت هذه المرأة ولم اعد اكلمهــا فتعددت على المصاعب وتنوعت هفواتى ونقائصى كنت اظن ان البنت اقوى ســاعد للرجل فى عمله فهى كما تصحبه فى الحياة المنزلية من الممكن ان تقــسم اتعابه وجهوده الحياتية وكنت معتمدة على ذكائى وقابليتى

ومعرفتي وعازمة على ان استخدمها بهذه المشاركة وهنا الاقسام ولكن مضت السنوات وتعاقبت الاعوام فلم يلتفت لتكأني ولم تجلب مقدرتي وقابليتي الانظار ، اما اليوم بعد ان تركت اللباس المحتشم جانباً وارتديت البدلة فقد صرت قبلة الناظرين ومطمح عيون الرؤساء. كنت ان تأخرت ساعة عن وقت الدوام او كتبت كلمة مغلوطة الاملاء تقوم قيامة الرئيس فيزبد و يرغي ولا تنتهى المسئلة الا بقطع راتب يوم او يومين من راتبي الشهرى اما اليوم فهو يصحح الخطأ ضاحكا و يخلق الاعذار مستبشرا.

قضيت فى هذه الحياة خمس سنوات عرفت بنتيجتها ان المرأة فى هذه الحياة تابعة لقانون العرض والطلب فالبنت الضعيفة التى لامعول لها اذا هى رميت باحضان الحياة العملية ان لم تعرض جنسيتها لاتطلب بل تموت جوعاً.

جربت هذه الحياة بانواعها وصرت هدفاً لمتنوع الرزيات بت ليال طوال طاوية تمزقت ملابسي وغدت مرقعة الهندى حتى اصبحت متشردة لا مأوى ولا ملبس ولا مأكل و بالاخير عدت للعمل عدت بدرجة تحت مكانتي بكثير عدت واستخدمت هذه المرة جنسيتي وجاذبيتي. دعاني يوماً آخراً مدير اشتغلت بدائرته فقال لى البنات يفسدن اخلاق المكاتب عزمت ان لا استخدم بعد اليوم فى مكتبي بنتاً ان البنت لا تدخل فى محيط الا وتفسد هواءه فيترك الرجال اشغالهم ويتقربوا بهن فقلت له من منهما المذنب

ماذا تعمل النساء والرجال منتشرون حولهن انتشار الصيادين في غابة الطيور فقال ان كلما اعرفه ان المرأة غير خليقة بالحياة العملية ومع هذا فاني لم اقرر بعد انتهاء خدمتك ولكن اخبركم لمدة شهرين لتفتشوا على عمل آخر فتلقيت كلامه هذا بصورة جدية لم تكفني تسع سنوات لان افهم ما كان يريد من هذا التهديد لم يكتف بهذا الانذار بل اخذ يحوم حول البنات المستخدمات بمكتبته ويصدر لهن الاوامر عن تنوع لباسهن وزينتهن حتى عيل صبري فانتهرته ذات يوم وقلت له ايها الرئيس انى لم احضر هاهنا لعرض البستي وزينتي انى اتيت لاقوم بعمل معين وليس من صلاحيتك ان تتداخل بما يعود لي شخصيا ، وعلى اثر هذا الجواب تركت اليوم الثاني طبعاً .

ان المرأة لاقصر من ان تعدل هذا القانون الطبيعي العام يتطلب الرجل من المرأة في العمل ما يتطلب منها في المنزل ومن تريد النجاح يجب ان تذعن لمطاليبه .

لا يجوز ان ترمى المرأة في المحيط العملي قبل ان تتعدل ذهنية الرجال ويتغير اعتقادهم . بما اذابقي الرجل متصفابصفات الرجولية المعروفة اليوم ، اذا بقي الرجل ذئباً مفترسا ، واذا بقيت المرأة متصفة بصفات الانوثة، اذا بقيت حملا وديعافلا يجوز ان ندعى ان الحياة العملية فتحت للنساء ابوابها.

(قلت) هل يجوز بعد هـــذا التصريح من هذه المرأة العاملة

وامثالها ان يصغى ذو مسكة الى كلمات الصحف اللادينية واثنيتهم المتوالية على النساء العاملات في البلاد الاجنبية تشجيعاً لنساء امتهم فى اقتفاء آثارهن بمزاحمة الرجال والتمرد على قوانين الطبيعة ولم يكتفوا بهذا بل اخذوا ينشرون بين آونة واخرى فوز المرأة بالانتخابات فى بعض الحكومات الاوروبية ودخولها فى الشرطة فى بعض البقاع وغير ذلك من الامور التى هى من وظائف اقوياء الرجال فضلا عن المرأة التى يسمونها (الجنس اللطيف)

ومن الغريب المدهش ان هؤلاء الذين رشحوا انفسهم للتدخل فى هذه الشؤون لم نر ولم نسمع ان واحدا منهم ابرز حليلته او احدى محارمه متلبسة باعمال الرجال حتى يكون قدوة لغيره بل هم اشد الناس فى التحفظ على نسائهم (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) فكأنهم يعلمون بما تؤل اليه المرأة اذا تلبست بتلك الاعمال ولكنهم يكتبون ما يكتبون طمعا فى تأدية حقوق التقليد للغربيين واملا فى ان تصبغهم المدنية المادية بصبغتها الشفافة ويظهرون لغيرهم من الناس انهم احرار الافكار وانهم يريدون اصلاح المجتمع وغير ذلك من الكلمات الفارغة التى يفوهون بها فى كل حين حكم الله بينهم وبين عباده بالحق فانه احكم الحاكمين .

الحياة العائلية والمدنية المادية

الحياة العائلية من اجلى مظاهر الحياة العامة وهى المرآة الكاشفة عن سعادة الانسان وشقائه فى دنياه بل الرمز الحقيقى لاستراحته وتعبه وذلك من الامور المحسوسة لكل احد ولا يحتاج الى بيان ولايفتقر الى توضيح ولا يقبل الجدال والمناقشة سيما القسم الخاص بالزوجين من هذه الحياة والداعى لتبادل المحبة والمودة بينهما والموجب على كل منهما القيام بتأدية حقوق الاخر الشرعية منها والادبية ولذلك حث الدين الاسلامى الكريم الامة المرحومة بالاعتناء فيه وبتحكيم روابطه فقال تعالى (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)الاية وقال تعالى (والله جعل لكم من انفسكم لزواجا وجعل لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) الاية(وقال رسول الله(ص) ان اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم)وقال (ص) (لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها)

جعل الله الزوجة سكناً للرجل وانسا لخلواته فيجب عليه اكرامها والرفق بها يعفو عنها اذا جهلت ويدار بها اذا ساء خلقها ويقوم بشؤن حياتها من الانفاق عليها والالتزام فيما يهمها

من الحوائج الضرورية بحكم الشارع الاقدس وعند امتناعه الزم الحكام اجباره على ذلك . قال الله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) الاية، وفي تفسيرها عن صادق اهل البيت عليه السلام (اذا انفق الرجل على امرأته ما يقيم ظهرها مع الكسوة والا فرق بينهما) واوجب على المؤمنين ان يقوموا بالاصلاح بين الزوجين عند حصول الشقاق كما أمرهم بعموم اصلاح ذات البين لصلاح العائلة واوجب التحكيم عند حصول المشاغبة وعدم الاتفاق فقال تعالى (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا صلاحا يوفق الله بينهما) الاية، وحث الرجل وهو رأس العائلة على التوسعة على عائلته قال رسول الله (ص) (من انعم الله عليه فليوسع على امرأته فان لم يفعل اوشك ان تزول النعمة) وقال (ص) (من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها الى عياله كان كحامل صدقة الى قوم محاويج وليبدأ بالاناث قبل الذكور فان من فرح ابنته فكأنما اعتق رقبة من ولد اسماعيل) الحديث . وقال (ص) (ان فى الجنة درجة لا يبلغها الا امام عادل او ذو رحم وصول او ذو عيال صبور) كما انه تعالى اوجب على المرأة الاطاعة لزوجها وجعله قواماً عليها فقال تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) ومنه الاطاعة مقصورة فيما عدا الواجبات عليها واما فى الواجبات كالصلواة والصوم والحج وامثالها فلا حكم له عليها

كما انه لا سلطة له على اموالها الخاصة . ولا يجوز لمان يتصرف فيها الا باذنها وليس له اجبارها على الخدمة بل عليه اخدامها ان كانت من أهله .

هذه بعض التعاليم الاسلامية بالنسبة الى الحياة العائلية وقد تركنا منها الشيء الكثير .

واما المدنية المادية فان المرأة الحرة ذات البهرجة والتبرج تكد وتكدح في الغالب للاتفاق على زوج او خليل بل يوجد من القوانين ما يمنع المرأة من التصرف في مالها الذي نالته من ارث او غيره الا بأذن زوجها وللرجل السلطة المطلقة على اموالها المشتركة والوصاية على عقارات زوجته يفعل بها ما يريد وليس للمرأة المسكينة معارضة بمقتضى قاعدة مزج الثروتين ويختص الرجل بالقبض على زمام البائنة (الدوطة) واذا كان على الرجل دين او غرامة او امثالها حجزت اموالها مع امواله ومحظور على المرأة قبول هبة او اجراء عقد او ايقاع او غير ذلك من غير ان تستحصل رضائه تحت الامضاء واكثر المشاغبات الحاصلة بين زوجي تلك المدنية عائدة الى هذه الاسباب وبمشاغباتها يتكدر صفاء البيت ويختل النظام العائلي وتنحل روابط المحبة ويئول الامر الى الطلاق في الغالب .

هذا والاسباب التي أفسدت الحياة العائلية من انكباب النساء على اعمال الرجال وانطلاقهن مع الاهواء ونيلهن الحرية المطلقة تحدث عنها ولا حرج كما ان اميركا ذات المدنية الحديثة قد سلبت

من الرجال اكثر حقوقهم الشرعية و الادبية وسلمتها الى النساء والحياة العائلية فى كثير من بقاعها تدعو بالويل والثبور والحاصل ان تلك المدنية كلما اندفع تيارها وزاد طغيانها فى شعب من الشعوب تراكمت الويلات وزاد صفو الحياة كدراً ولذلك ترى الامم الغربية في غالب الاحيان ينتقد البعض منها الاخر على السنة صحفها ويعجبنى ان انقل هنا شيئاً من مقال لكاتبة معروفة نشرته السياسة الاسبوعية فى العدد ١٤٥ لسنتها الثالثة عن احدى الصحف الانجليزية قالت

(من مساوى نظام الاجتماع فى اميركا اليوم ان الرجل لا يعتبر منزله سوى مكان للنوم فقط وفى الواقع ان المعيشة البيتية فى العالم الجديد تختلف كل الاختلاف عن المعيشة البيتية فى البلاد الاخرى فبينما الناس في انجلترا مثلا يقضون معظم اوقاتهم فى بيوتهم ويدعون اصدقائهم الى منازلهم ترى الناس في اميركا على خلاف ذلك اى انهم يقضون معظم اوقاتهم خارج بيوتهم فكأن بيوتهم ليست سوى فنادق للنوم فقط واذا ارادت سيدة ان تحتفى بصديقاتها او تدعوهن الى مأدبة فهى تفعل ذلك في احد الفنادق او المطاعم وليست هذه العادة مقصورة على سكان المدن الكبيرة فقط بل هى شائعة فى المدن الصغيرة ايضاً بل فى كل قرية لا يقل عدد سكانها عن بضعة آلاف من الانفس وقد اصبح الاهتمام بالشؤن المنزلية من الفنون المهجورة فى الولايات المتحدة ولا سيما بعد ان كثرت الاختراعات التى تخفف عبأ الاعمال البيتية على المرأة الاميركية

اضف الى ذلك ان في كل مدينة من المدن مخازن لاعداد الاطعمة وتجهيز معدات الطعام بحيث تستطيع المرأة ان تشترى كل ماتحتاج اليه . ولعلك تقول اذا كان الامر كذلك فلا بد ان للمرأة الاميركية متسعاً من الوقت تنفقه فى الكسل ما دامت لا تطبخ ولا تعتنى بالشؤون المنزلية و فى هذا القول شيء من الخطأ لان المرءة الاميركية تجد من الاعمال والزينات ما يشغل وقتها كله فهنالك الاندية النسوية فى كل بلدة مهما تكن صغيرة وهذه الاندية تشغل معظم وقت المرة (الى ان قالت)

اما النساء اللواتى لا يملن الى الاندية فانهن ينفقن معظم اوقاتهن فى لعب الميسر ولا سيما اللعبة المعروفة بـ (البردج) وهذه اللعبة منتشرة بين الاميركيات انتشاراً عظيما بحيث انك قلما تجد امرأة لا تعرف هذه اللعبة او لا تمارسها بل ان بين الاميركيات من يلعبن هذه اللعبة في كل يوم من ايام حياتهن ويقضين اكثر اوقاتهن حول موائد الميسر وذلك لان القمار هو اشيع الازياء في اميركا فى هذه الايام وهناك موضع آخر تقضى فيه الاميركية جانباً عظيما من وقتها وهو السينما فى اميركا تفتح ليلا و نهاراً ومعظم المترددين عليها في النهار ان لم نقل كلهم من النساء اللواتى لا تمنعهن شؤونهن المنزلية من زيارة تلك المحال مادمن غير مقيدات باعمال المطابخ وما دام ازواجهن مشغولين في دوائر اعمالهم ومن عادة الاميركية ان تشتغل وتكسب ولو كانت متزوجة (الى ان ذكرت)

ولا حاجة الى القول ان تألب النساء على الاعمال يفقدهن المزايا النسوية و يجعلهن بالرجال فتراهن مستقلات فى اعمالهن ينظرن الى الحياة كما ينظر اليها الرجل وقلما يحترمن ازواجهن كما تفعل سائر نساء العالم وقلما تجد زوجة تعتمد على زوجها واذا وجدت لفتت اليها الانظار .

ومن غرائب هذا النظام ان من الازواج من لا يتلاقون الا في الليل او فى الصباح اذ يخرج كل منهما الى عمله فيقضي يومه و يتناول طعامه خارج المنزل و اذا فرغ من عمله عاد الى منزله وقد تكون الزوجة من اهل الطراز العصرى اى انها مستقلة في معيشتها كل الاستقلال تروح وتعود وحدها و فى هذه الحالة قد تمر عدة ايام وليال لا يلتقي الزوجان فى اثنائها الا بضع ثوان كل يوم وليس من الضرورى ان تكون سهراتهما للطرب واللهو فقط بل قد تكون لانجاز الاعمال التجارية ايضاً وعلى كل فان الزوج لايتعرض لزوجته بسبب ذلك لانه قد اعتاد هذا النظام من المعيشة ويعلم من العبث مقاومة او توبيخ زوجته عليه ...

وفى الواقع ان الصلات الزوجية فى اميركا هى مصلحية اكثر منها ادبية والمرأة تقول ان لمصلحة العمل التقدم على كل اعتبار آخر فاذا كانت الروابط الزوجية تتعارض مع مصلحة العمل وجب فصم تلك الروابط (الى ان قالت)

ومن الامور الداعية الى اشد الاسف ان المسكرات منتشرة بين النساء(١) الاميركيات انتشاراً هائلا مع ان بيع المسكرات محرم فى الولايات المتحدة ويقول الخبيرون ان ٧٥ بالمائة من مشروب (الجن)وهو نوع من المشروبات الروحية يباع للنساء ولا ينحصر شرب هذا المسكر في الفتيات فقط بل هو شائع بين المتزوجات ايضاً اللواتى يقضين اوقاتهن فى الاندية الليلية ومن عادة نساء نيو يورك انهن يبدأن بالشرب بعد الظهر وكثيراً ما رأيت فتاة اميركية خارجة من احد الاندية تقود امها وهى فى حالة محزنة من السكر الى المنزل (وقالت)

ومن الامور الدالة على ضعف الرابطة العائلية فى اميركا ان الامهات قلما يعنين باطفالهن بعد سن الثالثة او الرابعة اذ يرسلنهن الى احدى المدارس الداخلية حيث يقيمون الى ان يترعرعوا وهم لايشعرون بقيمة المحبة الوالدية لانهم لم يعتادوها ولا يقتصر هذا على الصبيان فقط بل يتداول البنات ايضاً بحيث ان الفتاة تشب وهى لا تكاد تعرف لها بيتاً غير المدرسة ولا شك ان نظاماً اجتماعياً كهذا هو نظام سيء للغاية ولا يمكن ان تكون اركان الحياة فيه راسخة ولاشك انه سوسة تنخر كيان المجتمع العمرانى في الولايات المتحدة)

هذا ما نقلته سيدة انكليزية تصف ما شاهدته من الحياة العائلية فى ارقى شعب من الشعوب المؤمنة ايماناً كاملا بالمدنية المادية نقلناه

---

(١) مرت اعرابية على قوم يشربون الخمر فوقفت عليهم فسقوها فلما انتشت قالت أيشرب نساؤكم من هذا الشراب ؟ قالوا نعم فقالت والله اذن ما يدرى احدكم من ابوه .

نقلا بالفاظه وقد تركنا منه الشيء الكثير فماذا يقول دعاتها المحترمون ؟ أتوافق مثل هذه الاحوال العادات الشرقية وتناسب الغيرة العربية؟ وهل يجوز لذي مسكة من ابناء المسلمين ان يدعو الناس الى اقتباسها في بلاد آمنة مطمئنة قد اشتغل كل فرد من افراد العوائل فيها بوظيفته الخاصة التي كلفه الباري تعالى بها غير خارج على احكام الطبيعة ولا مخل بنظام الكون قد قيدته القوانين الالهية بقيود قبلها على نفسه طوعاً من دون ان يكرهه مكره عليها ولا يطلب الانفصال عنها في حين من احيان حياته بل انه يرى سعادته بها حياً وميتاً (كلا ثم كلا) لا يجوز لاحد ذلك ولا توافق هذه المدنية اخلاق المسلمين ولا عاداتهم وانما سولت لاولئك الدعاة انفسهم امراً غير خفي على العقلاء وسرعان ما يأخذهم الندم عند ما يبتلي احدهم بشيء من هذه الامراض وقد شاهدنا ذلك في البعض وننتظر مشاهدته في الاخرين (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم)

السفور والتبرج

وتضجر اهلها منها

بينما نرى اغلب شباننا الشرقيين الذين يمكثون في الغرب برهة وجيزة من الزمن ويعودون الى اوطانهم اول شيء يبدؤن به

من الاصلاح هو الدعاية الى سفور النساء وتبرجهن ويظهرون للعامة من الناس ان تأخر الشرق عن الغرب فى العلوم والمعارف انما هو احتجاب نسائه وان المرأة ما دامت محتجبة عن أعين الناظرين وغير مختلطة بالرجال فالامة الشرقية فى تأخر واحطاط وان سفور النساء فى الغرب هو سبب تقدمه وثروته الطائلة بينما ترى اولئك الشبان يتفوهون بهذه المزخرفات ترى الامم السافرة لا تعترف بان للمرأة يداً فى تقدمها بل تتضجر من سفور نسائها وتتأفف من تبرجها ومن مساواتها عندهم بالرجال واليك بعض كلماتهم اما عدم اعترافهم للمرأة بشيء من الحقوق على الهيئة الاجتماعية فيكفينا شاهداً عليه قول الفيلسوف الاقتصادى المشهور (برودون) فى كتابه « ابتكار النظام » (النوع الانسانى ليس مديناً للمرأة باى فكرة اخلاقية ولا سياسية ولا فلسفية فانه مشى فى طريق العلم بدون مساعدتها واستخرج منه المدهشات والعجائب، النوع الانسانى ليس مديناً للنساء باى اكتشاف صناعى ولا باقل آلة فالرجل وحده هو الذى يخترع ويكمل ويعمل وينتج ويغذى المرأة) ثم قال (وان الدور الذى لعبته المرأة فى الادب هو مثل الدور الذى لعبته فى الفابريكا فانها لم تنفع فى هذه الا حيث لا يلزم استعمال القريحة مثلها فى ذلك كمثل المشبك والبكرة)

واما تضجرهم من سفور المرأة فقد اكثرنا منه النقل فى مقالاتنا المبثوثة ودونك غير ما نقلناه قال اللورد (بيرون) فى الجزء الثانى من كتابه الرسائل والجرائد (لو تفكرت ايها المطالع فيما كانت عليه المرأة فى

عهد قدماء اليونان لوجدتها فى حالة يقبلها العقل ولعلمت ان الحالة الحاضرة لم تكن غير بقية من همجية القرون الوسطى حالة مصطنعة مخالفة للطبيعة ولرأيت معى وجوب اشغال المرأة بالاعمال المنزلية مع تحسين غذائها وملبسها فيه وضرورة حجبها عن الاختلاط بالغير وتعليمها الدين وابعادها عن الشعر والسياسة وعن قراءة كل كتاب يبحث في غير الدين والطباخة) ومن كلام للكاتبة الانكليزية (انى رورد) كما عن الجزء السادس من السنة الاولى لمجلة «شجرة الدر» عن جريدة «الاسترن ميل» تقول (يا ليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهارة لرداء الخادمة والرقيق الذين يعيشان بارغد عيش ويعاملان معاملة اولاد رب البيت ولا ينبس عرضهما بسوء) ونقلت المجلة المذكورة كلاماً للكاتبة (اللادى كوك) عن جريدة (الايكو) ان الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر الاختلاط تكون كثرة اولاد الزنا) الخ . وقد ذكرت الصحف مقالا لكاتب مسيحى اسمه «فؤاد صعب» نقلته برمته هنا لما فيه من الفوائد . (ايتها الدرة المكنونة فى صدفتك : ايتها المهات المتسترة فى كناسك الحاضنة خشفك : ايتها الملكة المتربعة على عرش مملكتك : ايتها الساحرة بجمالك ، الساحرة بجلالك ، الساحرة برقة عواطفك وعذوبة الفاظك ، الساحرة بلحاظك وحركاتك وسكناتك : يامحولة جحيم الحياة نعيماً ونعيمها جحيما القاسية برقتك القوية بضعفك

ايتها المرأة

يزعمون انك مظلومة وانك اسيرة الحجاب ويريدون تحريرك من اسرك يزعمون ان الحجاب يمنعك عن ان تكونى اماً راقية وزوجة صالحة ... هكذا يزعمون فهل تجدينهم مصيبين اوان الطموح لاكتشاف المجاهل هو وحده يدفعهم لاكتشاف ما تحت النقاب وهي انك نزعت حجابك فما الذى يحجب قلوبهم بعدئذ عن سهام عينيك وسر جمالك انهم يريدون لك السفور فاسفرى اسفرى وتصورى ان بنات جنسك كلهن سافرات فسفورهن يكون للرجل بمثابة اعلان حرب بين الارادة والعاطفة وقلما نشاهد في الحياة انتصار الاولى على الثانية ما دام القلب لايعترف العقل بسلطان عليه .

اسفرى ولتسفر جاراتك وليبحث العالم بعدئذ عن علاج يخفف من المشاكل العائلية والزوجية .

اسفرى ... ولكن مهلا ... قبل ان تحكمى على حجابك بالهجران والنفي . حاكميه وقابلى بين حسناته وسيئاته لان من اللوم ان يتناسى الانسان حسنات جمة ويغاضى على سيئة ... قابلى وزنى وانظرى اية الكفتين ترجح ثم احكمى . ولئن قلت ان غير المسلمات لاحجاب لهن وانهن راتعات فى بحبوحة من الحرية التى لا تمنع كونهن اديبات ومحصنات . أجبتك : ان لا طلاق عندهن ولاتعدد زوجات . ومع هذا فلا تغرنك الظواهر ولاتخاليهن اسعد منك حظا لان الاختلاط الجنسي يقود حتما الى تبادل العواطف . ومـا دامت الغيرة غريزية

فى الحيوان الانسانى فغير المسلمة ترسف فى حجب معنوية.حبذا دونها حجابك المادي فكم وكم من فتاة مهذبة اذا انس منها ذووها عطفاً على شخص اومنه عليها وربما كانت تحسبه اخا ويعتبرها اختا حجبوها عنه (وعن النسيم).

تأملى حالها بين سجنها وجرح عواطفها ومع ذلك فهى سافرة ، سافرة وراء حجب من الضغط والمكر والحيلة ، فبينما يمنعونها عن مغادرة البيت يصورون لها ذلك الشخص مثالا للخساسة والغدر والدناءة ذاكرين لها افعالا واقوالا بحقها تحط بكرامتها وقد يتهمونه بكل فرية اثارة لسخطها وتحقيراً له بنظرها . جاهلين او متجاهلين ان العاطفة اذا تمكنت في فؤادها هزأت حتى الموت حتى بالموت ولكنها تتألم . ولا اخالك الا شاعرة دون ان الفت نظرك الى حالة ذاك الرجل وآلام نفسه وكأنى بك تسمعينه يقول : ما كان اغنانى عن تلك النظرة وتلك الالفة وهذه الالام .

(الاختلاط الجنسى)

يقود غالباً الى قتل أسمى العواطف سمعت رجلا يقول لحسناء انت جميلة (فاجابت) ما انت اول من اسمعنى هذه العبارة وامثالها فالمرأة المنهالة عليها عبارات الثناء من كل جانب تلتبس عليها معرفة المخلص من المملق فتقتنع بجلباب الحذر وتغدو بذلك الى الترجل أقرب منها الى الانوثة ... لا تغرنك الظواهر ولا تحسدي غير المسلمة اذا رأيتيها سافرة سائرة الى جنب زوجها متكئة على ذراعه يقدمها

فى المجتمعات الى اصدقائه وصديقاته حتى اذا عادوا الى منزلهما وقف امامها وقفة قاض يحاكمها على نظرة او ابتسامة اوكلمة وجهتها الى زيد او عمر و وربما حاكمها ايضا على ما لم تفعل كأن يقول لها مثلا . لن فلانا أطال فيك التحديق فمن اين يعرفك ؟ لا شك ان لديك معرفة او علاقة سابقة الخ ... مما يحمل الزوجة على معاملته بالمثل او مقابلته بفظ الكلام إيثاراً لعزة نفسها المجروحة . فيقع الخصام والتنافر . وقد تسكت ولا تجيب قمعا للجدال فيعتبر سكوتها اعترافا وتصديقاً لظنونه .

فاذا كان هذا شأن التى نشأت وترعرعت وامها قبلها فى هذا المعترك فما يكون شأنك انت ايتها المسلمة اذا انتقلت فجأة من عزلتك وراء حجابك الى هذا الخضم ومع هذا فالطريق امامك فان ابيت الا السير فسيرى ولكن رويدك ... تبصرى قبل ان تخطى الخطوة الاولى . سرحى بصرك من اول الطريق لاخرها انها شاقة والرجل لك بالمرصاد وبنت جنسك ايضا ، هذا ليستهدفك بحرابه وسهامه ، وتلك لتنازعك مركزك فهل تجدين ان فى امكانك السير الى المنتهى ... ستكرنين معرضة للعذل والنميمة والوشايات فهل فى امكانك السير الى المنتهى لان التقهقر بعد ذلك يخرج عن حد امكانك . ستجدين ذاتك مدفوعة الى مجاراة بل مباراة بنات جنسك بعوامل مختلفة ومنها الغيرة وحب التفوق وارضاء الزوج او الخطيب فيكون سفورك خطوة اولى يتلوها اتباع (الموضة) ولست بحاجة الى اختراق

حجب المستقبل لاراك عارية العنق والذراعين مقصوصة الشعر تحيين الليالى الراقصة المختلطة بل تكفينى نظرة الى بنت جنسك العصرية السافرة وكلتا كما بنتا حواء ...

هو ذا الطريق امامك سرحى بصرك قبل المسير .

... أترين ذلك الشاب الشاحب السابح بدمه ؟ أتسمعين زفراته وتنهداته ؟ أتسمعينه يستغيث بالموت ؟ انه احد الكثيرين من ضحايا المرأة السافرة ، اخوه الراضع ثدي امه صار له خصما .. أعز اصدقائه صار له عدوا .. الذى اكل خبزه مكر به وكافأه شرا .. أنبتت له الارض اعداء فاحتار كيف يتقى الضربات ..

كم اخ قتل اخاه ! وولد اباه ! وصديق صديقه ! من اجل امرأة اذهى الى السجون تجدها ملأى بهم ... أيقتتل الرجال من اجل امرأة لم يروها ؟ كلا ! . أيقتتل ديكان ليس بينهما دجاجة ابدا ؟

هناك فى ظاهر البلدة بنايات تسكنها فتيات تسترن الرؤس بمظاهر النعمة تتكلفن بالابتسام وقلوبهن دامية وقد نبذتهن الهيئة الاجتماعية كاعضاء موبؤة فى جسمها تتاجرن بعفافهن بعد ان سدت فى وجوههن ابواب المعيشة الشريفة انهن ضحيات اغراء الرجل وهل يغوى الرجل فتاة لم ينظرها او فتاة لم يختلط بهـــا اذن فهن ضحيات اغوائهن الرجل .

انهن كثيرات ولكن لا يمكننا ان تتخذهن مثالا ونجزم بأن الاختلاط يتردد الى التدنى الا عند فئة اضاعت اخلاقها وآدابها

فالفتاة المهذبة تحافظ على بكارتها سافرة مثلها مقنعة والزوجة العفيفة تصون طهارتها مهما عظمت التجربة والصديق الاديب يحافظ على شرف صديقه وكل ذى عرض يحافظ على عرض قريبه لان للارادة سلطاناً على الجسد فتحول دون ارتكاب المنكر ولكن لا سلطة لها على الروح فتمنعها من ان تعجب وتتألم وتتمرد والحب مهما شرف يظل مدعاة الى اثارة الغيرة . والغيرة وحدها كافية لتحويل الصداقة الى عداوة والسلام الى خصام فالسفور اذن يقود الى الاختلاط وهذا الى الصداقة وكثيراً ما تنتهى الصداقة بحب ولكن قلما ينتهى الحب بصداقة لان الحب يتطلب دائما السير الى الامام والويل لمن يحجم بعد الاقدام فيستهدف مهجته لسهام الانتقام .

على قارعة الطريق بينما كنت اسلم على شابين اعرفهما من ايام المدرسة مرت بنا فتاة فغمزنى احدهما وتنهد وقال انها لم تعد تعرفنى لم تعد تكترث بى .. كأن لم يكن بيننا اشياء .. اتراها نسيت او تناست تلك الاويقات الحلوة وتلك الخلوات التى كنا نقضيها بمعزل عن الرقباء . اتراها نسيت عهودها و ...

وهنا حانت منى التفاتة الى الشاب الثانى فاذا بوجهه قد امتقع لونه فتحول من صفرة الخجل الى حمرة الغضب وانسحب دون ان ينبس ببنت شفة خوف الفضيحة والعار لقد كانت الفتاة ... اخته

وامثال هذه المأساة كثيرا ما تمثل على مسرح الحياة وتكون من ضحاياها العذراء الطاهرة يتكلم بحقها الشاب المتسافل الاخلاق

لانها اعرضت عنه بعد الميل اليه اما لسوء اخلاقه او لاسباب اخرى او لانها انست منه سوء الاداب وهى الفتاة المهذبة وما كان اغناها عن الحالين لولا السفور ...

السفور والاختلاط يهدمان الهناء العائلى . ان الرجل اذا لمس يد خطيبته شعر بهزة كهربائية تسرى في اعضائه اما بعد الزواج فيصيران جسداً واحداً وتزول مباراة التحبب والشوق وشكوى الوجد بزوال الكلفة بين الزوجين بل ان الحب ذاته ينام في قلب كل منهما وتقوم الالفة مقامه ولكن هموم الحياة التى لا تنام تمزج تلك الالفة بشىء من النكد وقد تسوء اخلاق احد الزوجين او كلاهما ويغدو كل منهما وقراً على عاتق صاحبه . ولكن ليست هنا الضربة القاضية على السعادة الزوجية فان لم يزر المدينة يظل راضياً بمعيشته البسيطة في قريته والذى لم ينظر ترف الغنى يظل راضياً بشظف عيشه

الحق الحق اقول لك يا سيدتى انه لو اتيحت حرية الضمير فى القول بلا أثم ولا حرج بين طبقات الناس القائلين بالاختلاط لسمعت كل زوج يقول لزوجته ان فلانة ذات عواطف حساسة وشعور رقيق وجمال فتان لا تماثلينها شىء منه ولكنت تسمعين كل زوجة تقول لزوجها انت فظ وشرس وسمج بعكس صديقنا او جرنا فلان فانه لطيف المحشر فصيح اللسان بشوش الوجه حسن الصورة هذا ان لم تقل له ان فلانا اخف منك بالرقص . واذا لم يقل لها ان فلانة ابرع منك بالعزف فالاختلاط اذن يهدم الهناء العائلى .

وان قام الدين والاداب حاجزين دون هدم كيان العائلة فاذا كان هذا بين الازواج المتكافئين خلقا وخلقاً وسناً فما ذا يكون اذا كان الزوج شيخاً أو كهلا والزوجة صبية او اذا كان قبيحاً وتلك حسناء او اذا كان عادياً يتزوج بفتاة كلها شعور وخيال او بعكس ذلك مثلا . ما تكون النتيجة اذا وجد كل من هؤلاء الازواج نصفه الحقيقى بفضل السفور والشرائع واقفة بالمرصاد .

يا سيدتى المحجبة ، اما الحجاب فتعرفينه ، واما السفور فقد عرفتك به ، وان تسأليني رأيي اجبك .

اما تغيير سنن الله فى خلقه (وهذا غير ممكن) واما الحجاب لانه خـــير للانسان ان لا يرى النور ابدا على ان يتمتع بالنظر ساعة ويفقئون بعدها عينيه .)

المرأة السافرة والجرائم

كانت المرأة فى الغرب حقيرة مهانة مقيدة بقيود الاسر حتى اذا نالت حريتها وخرجت فى زينتها وتوسطت محافل الرجال واختلطت بمن لا يبيح لها دينها الاختلاط به اخذت فى مشاركة الرجل باعماله ومباراته في حركاته وسكناته ولكنها لم تقف عند هذا الحد فسابقته فى الفضائح والجرائم ايضاً فقد انبأتنا الصحف من عهد قريب جداً ان السجون فى فرنسا واميركا مكتظة بالنساء المجرمات وان المحاكم الجزائية

فى انكلترا نظرت فى قضايا ذات خطر كان الجناة فيها نساء برهنت على براعة فى ارتكابهن الجرائم وقد أثبتت التحقيقات ان جنايات القتل والسرقة وغيرهما مما ارتكبته النساء كان الكثير منها نتيجة حب وارضاء شهوة وامثالها مما لا يوجد له سبب الا البهرجة والسفور والتبرج والاختلاط بالرجال ونحوها واحب ان انقل فى مقالى هذا بعض تلك الجرائم ليعلم ذو اللب ان داء السفور لا بد وان يؤدى الى هلاك المرأة لا محالة وان طلاب التبرج انما هم من الداعين للمرأة واقتصر على بعض ما جاء فى مجلة الحقوق الفلسطينية (اولا) عن شركة الصحافة المتحدة بموسكو انها ذكرت ان الاميرة (او بولنسكى) التى كان ابوها حاكم (بترو غراد) العام وهى من اجمل الفتيات الروسيات قد قبض عليها وستحاكم بتهمة اللصوصية ومن المحتمل ان تجازى بالاعدام ويقول الموظفون المشتاعون ان لها في الجرائم تاريخاً طويلا بالرغم انها غير متجاوزة الخامسة والعشرين من السنين ومنذ بضع سنوات حكم عليها بالاعدام جزاء التجسس ثم ابدل بالسجن وسجنت مدة سنتين جزاء السرقه و بعد اطلاق سراحها ارتكبت ثمان جرائم بين سرقات وقطع طرق .

(٢) جاء عن جاكسو نفيل فى فلوردا (اميركا) ان البوليس القى القبض على فتاة تشبه بهيئتها تماماً الغادة ذات الشعر الذهبي المقصوص التى ترتعد الولايات المتحدة لذكرها . هي تلك الفتاة

التى قتلت وخربت وسرقت وشلحت على قارعة الطريق واعيت حيلها البوليس وتمكنت مراراً عديدة من الافلات من بين يدى عشرات من رجال الشرطة .

انما الغريب من حكاية الفتاة انها بعد القاء القبض عليها اعترفت بان لها عاشقاً فقير الحال لا يعرف عن حقائقها شيئاً كانت تقترف الجرائم والسرقات لتجلب له المال ليتنعم به .

وعلى هذا يكون اساس جرائمها الوحيدة هو الحب ولا بدع فالجرأة الهائلة التى تسلحت فيها هذه الفتاة منذ ابتدأت بالشقاوة لا يمكن ان يكون لها دافع غير الحب الذى وحده يقوى الســـاعد ويزيد فى الذكاء ويؤدى حامله الى اقتراف الجرائم فى سبيله .

هذه الفتاة اسمها (سيليا كونى) ولها فى اللصوصية طريقة مبتكرة تستدعى كثيراً من الشجاعة فهى تدخل المخازن وتشهر مسدسها بسرعة هائلة مهددة بالقتل من يرفع صوته او يحرك يديه وتتوجه رأساً الى صندوق المال فتستلم الموجود فيه وتخرج بسرعة وتركب سيارتها الى حيث تغير حلتها وتعود بعد مدة الى عملها السابق وقد ضج الناس اخيراً من هذه الحسناء الهائلة وتناولت الجرائد اخبارها فكتبت عنها الفصول الطويلة ومما يروى عنها انها دخلت يوم اول نيسان سنة ١٩٢٣ مخزن حلاق مشهرة مسدسها وطلبت من الحاضرين تسليم مافى جيوبهم فى الحال فضحكوا ولم يعبأوا بها ظناً منهم انها (خلاعة اول نيسان ولكن) لم تمض دقيقة واحدة على

عدم اكتراثهم حتى سقط منهم اثنان يختبطان بدمائهما من رصاص مسدسها فسلبها الباقون ما معهم من المال واختفت كعادتها اختفاء غريباً .

والسبب فى وقوعها بايدى الشرطة هو التجاؤها الى احدى البيوت بسبب الولادة لانها كانت حاملا فالقى عليها القبض بعدان ولدت بضعة ايام مع زوجها ورفيق لها كان يعاونها فى التشليح .

(٣) (الزى ملنسكى) امرأة من اهالى (الينوا) في اميركا وهى في منتصف العمر عليها مسحة من جمال قديم ذهب مع الشباب ارتكبت جرائم عديدة فى شبابها منها انها قتلت زوجة رجل يدعى (بيل) بالسم لتتزوج منه وهنا بعدان طلقها زوجها الاول الذى حاولت قتله فلم تفلح وبعد زواجها من بيبل عافت عشرته فقتلته كذلك بالسم ودفنته دون ان يرتب بها احد وتوظفت رئيسة خدم في منزل زوجها الاخير المستر (ملنسكى) وقد نشأت بينها وبين ملنسكى علائق غرام افضت الى ان دست (الزى) السم لزوجته فى قدح ماء فقتلتها وهكذا خلى لها الجو وتزوجت من ملنسكى وتسمت باسمه ولكنها لم تنج من جريمتها الاخيرة فان الشبهات ثارت حول موت زوجة ملنسكى فاخرجت جثتها بعد وفاتها وشرحها الاطباء والاخصائيون وفحصوها مراراً فقرروا وفاتها بالسم فالقى القبض على ملنسكى وزوجته الجديدة الزى وبعد التحقيق معها اقرت الزى بانها هي وحدها القاتلة وان زوجها لا يعرف

شيئاً من الامر ومما قالته الزى لقضاتها ان حبها للمستر ملنسكى هو الذى دفعها الى قتل زوجته للاقتران به كما دفعها قبلا الى قتل غيرها ولن الحب في مثل هذه الاحوال يبرر كل شئ ولكن فلسفتها هذه لم تجدها نفعاً فانها حكمت بالسجن المؤبد.

(٤) جاء فى جريدة «الماتان الباريزية» انه بينما كان شرطيان فرنسويان يتجولان فى احدى اسواق باريز اذ لمحا امرأة حسناء من المعروفات بالبراعة فى نشل ما خف حمله وغلا ثمنه فتبعاها فركبت احدى مركبات الترامواى فلحقا بها ثم نزلت وركبت الاتوبوس فواصلا مطاردتها الى ان ابصرا بها تدخل كنيسة (نوتردام دى فكتوار) فدخلا المعبد فى اثرها فشاهداها جاثية امام المذبح تصلى بخشوع وبعد دقائق نهضت وتناولت شمعة واضاءتها ثم وضعتها امام صورة العذراء وانصرفت ولما صارت فى شارع (ريفولى) الآهل بالمحلات التجارية الكبيرة دخلت احدها والشرطيان يتعقبانها ونشلت مظلة ونزعت عنها الورقة المرقوم عليها ثمنها ثم واصلت سيرها واختطفت رزمة من القفازات واسقطتها فى المظلة وعندئذ دنا منها احد الشرطيين وقال لها جميل منك ياسيدتى ان تنشلى ولكن اجمل من ذلك ان تقدمى على السرقة بعد خروجك من الكنيسة فصاحت المرأة صيحة قوية عقبتها نوبة لم تصح منها الا في دائرة الشرطة . ولما سألها الضابط عن الباعث لها على الصلوة قبل اقدامها على عملها اجابت ان

اضائتها الشمع للعذراء عادة قديمة جرت عليها منذ ما اتخذت السرقة صناعة لها اذ تبين لها ان كل مرة اضاءت فيها شمعة قبل شروعها فى السرقة كانت تفلت من ايدى الشرطة اما هذه المرة فلا تعلم سر فشلها .

(٥) فى كاتانيا امرأة لها من العمر اربعون سنة عشقت شاباً فى مقتبل عمره وقد شاء القدر ان يصبح هذا الشاب بعد زمن وجيز خطيباً لابنتها وهى فتاة فى العشرين من عمرها فكظمت الام غيظها حيناً ولكنها وجدت الشاب ذات يوم يحادث ابنتها فلم تتمكن على ان تملك نفسها وقذفت بزجاجة فترويول في وجه ابنتها فاعمتها فى حينها .

(٦) قبضت الحكومة الصينية اخيراً على فتاة شقية تدعى (ماكالاكاشا) وهى زعيمة عصابة لصوص قوية عاشت فى البلاد فساداً واضطرب من جراء اعمالها حبل الامن وكانت تنهب وتسرق وتقتل دون شفقة ولا رحمة وترأس عصابتها بكل جدارة واهلية ولم توفق الحكومة الى القاء القبض عليها الا بعد اربع سنوات من مطاردتها عملت فى اثنائها اعمالا هائلة فارهبت المدن والقرى وكان لا يلفظ اسمها الا بالتخوف والذعر ولم تقو الحكومة عليها بالرغم مما ارصدت لها من القوات مدة اربع سنوات متوالية طاردتها فيها فكانت تفلت من بين ايدى الجنود كما تفلت السمكة فى الماء وكثيراً ما وقعت معارك بينها وبين الجند واسفرت عن اندحار هؤلاء والرجوع

خاسرين حتى كان ايلول سنة ١٩٢٤ فانه بينما كان حاكم ولاية (شان ستتوغ) فى مكتبه اذ دخل عليه حاجبه يقول فى الباب فتاة تطلب مقابلة مولاى فاذن لها الحاكم بالدخول فدخلت عليه فتاة في عنفوان الصبا جميلة نحيفة لها عينان تقدحان شرراً ثم تقدمت من الحاكم بعظمة واجلال مادة يدها وقائلة انا ما كالاكاشاء فكبلنى ياسيدى بالحديد فاندهش الحاكم اندهاشا عظيما وظن لاول وهلة ان ليس هنالك سوى فتاة تريد السخرية منه ولكنه بعدما تفرس بوجهها عرف حقيقة انها زعيمة اللصوص التى ارعبت البلاد فتقدم منها وشد وثاقها دون ان تدافع عن نفسها وهكذا زجت فى السجن الى وقت المحاكمة ولما ظهرت اخيراً امام قضاتها كان نصف المدينة امام المحكمة لمعرفة السر الذى ادى بها الى التسليم فاعتلى صوتها قائلة لا السيف ولا المدفع ولا النار قويت على، ولكن حب فتى تسلط على وكان سبباً لاستسلامى الى المشنقة هو (كاى لاى تشى) احد رجال عصابتى من الاشراف الذين انخرطوا بسلك اللصوص هربا من جور والد فتاة احبها فلم يسمح لها ابوها بالزواج به وزوجها لاخر ولم يمض القليل على وجود (كاى لاى تشى) فى عصابتى حتى همت به وكاد يهيم بى لولا انه اختفى وقد عرفت بعـــد ذلك ان الفتاة التى كان يحبها وتزوجت باخر بامر والدها قتلت زوجها وجاءت الى العصـــابة فاختطفت حبيبها القديم وسافرت معه الى اوروبا فحزنت جداً وكنت احب الرجل كثيرا فلم اقو على الحياة بعيدة عنه وقلت آثامى وجرائمى

هى التى اوصلتنى الى هذه الحالة فحثت ابها القضاة اكفر بحبل المشنقة عن ذنوبى وانسى بموتى حبى القاتل. وحكمت المحكمة عليها بالشنق وصعدت ما كالا كاشاء الى المشنقة وهى تبتسم للموت.

(٧) روت احدى جرائد نيو يورك ان سيدة مرتدية افخر الملابس وعليها من الحلى الشيء الكثير جاءت سجن (فيلا دلفيا) ذات يوم على سيارة فاخرة فدنت من السجان وطلبت منه السماح لها بمقابلة السجين (ناثان كسلر) مدعية انه من اقاربها وكان ناثان هناك مسجونا لسرقته حلى ثمينة فسمح لها بمقابلته من وراء شباك الحديد ولم يسمع احد حديثهما ولما همت بالانصراف قبلته فى فمه قبلة مستطيلة وانسحبت وهى تبكى فتأثر الحارس لها وامسكها من يدها للمعاونة حتى اوصلها الى السيارة فشكرته وركبت سيارتها وانصرفت ولما عاد الحارس الى غرفة السجين رآه ملقى على الحضيض ووجهه الى الارض فظن انه اصيب باغماء لتأثره من مقابلة السيدة قريبته ففتح الباب ودخل اليه ينهضه فوجده ميتاً ولدى الفحص الطبى وجد انه مات مسموماً فعلم ان السم سرى اليه من تلك القبلة وفتشوا عن المرأة فلم يهتدوا اليها ولا عرفوا من هى

(٨) قدمت جنيف فتاة اجنبية على وجهها مسحة من الحسن وقالت ان اسمها (دولورس) وانها ورثت اخيراً ثروة طائلة تقدر باربعين مليون دولار وبعد ما اقامت فى جنيف اياما تعرفت بشاب ينتمى الى اسرة غنية فطلب يدها فاجابته الى طلبه وعقدت

خطيبها ثم اخذت تقترض مالا من اهل خطيبها ومن اشخاص آخرين ريثما تنال ارثها فاشترت منزلا بمبلغ ٥٠٠٠٠ فرنك وابتاعت اثاثاً وحليا بمئات الوف اخرى من الفرنكات وكانت تعد بائعيها بان تدفع لهم ثمن جميع مشترياتها متى وصلت اليها اموالها ولما طال الانتظار ولم ترد الثروة اشتبه تاجر فى شأنها وابلغ الامر الى البوليس فاخذ يحقق مع « دولورس » ولم يلبث حتى ظهر له ان الفتاة الموسرة ليست سوى خادمة من (زوريخ) اسمها (جوزفين كوفمان) وعمرها ٢٠ سنة فزجها فى السجن .

(٩) ثار ثائر الصحف الارجنتينية الكبرى وملأت اعمدتها بالاستنكار والاستفضاع اثر وقوع هذه الجريمة وهى (كارمن اريديا) فتاة غضب عليها خليلها الذى كانت تساكنه اثر خلاف شديد وقع بينهما تعذر تسويته بالحسنى فطردها من منزله اقبح طرد دون ان يصغى الى توسلاتها فخرجت طريدة دون مأوى او خليل جديد فالتجأت الى سيدة تدعى (جوانادى) كانت تجهل تاريخ حياتها فالحقتها بخدمتها مقابل اجر يرد عنها الجوع والعرى وقد حدث يوماً ان تركت السيدة جوانادى المنزل وتركت ابنتها « غبريلا » البالغة من العمر اربعة عشر عاماً عند الخادمة كارمن وفى غياب الام أبتدأت كارمن حسب نزعتها الشريرة تحيك الحبائل وتنصب الشراك لايقاع الفتاة الصغيرة الساذجة حتى تمكنت يوماً برقة الفاظها وعذوبة كلامها ان تخرج بها من المنزل وتستدرجها

الى الشارع (ريغادافيا) حيث سلمتها القاء ملغ زهيد الى رجل يدعى (خوسه باروس) كان هناك فى انتظارهما واستلم الرجل الفتاة واقتادها الى بيته وهى تجهل ما يخبؤه لها الدهر وهناك فى غرفة مظلمة انشب الوحش المفترس مخالبه فى الفتاة العذراء.. وعادت الوالدة الى المنزل فتلقتها ابنتها باكية واطلقها وهى تذرف الدموع على طهرها وعفافها فاسرعت الام الى دائرة الشرطة طالبة عقاب المجرمين فالقت الشرطة القبض على الخادمة كارمن واودعتها السجن و لم تعثر على (خوسية بلروس) ولا وقفت له على أثر.

(١٠) «اميلي لو رنس» تعددت من الجرائم فى لندن فمن جرائمها انها احتالت على صاحب مخزن من اكبر مخازن الصاغة وسمت نفسها اللادى لورنس واخذت منه ما يساوى ثلاثه آلاف جنيه ورفع امرها الى البوليس وزجبت فى السجن وكانت وهى في السجن تدعى بانها من اسرة نبيلة صديقة الاسرة المالكة وتؤيد دعواها بشواهد صدقها بها المسجونون ولما خرجت من السجن ارتكبت سرقات كثيرة وفي كل مرة تنجو من يد البوليس بدهاء غريب وغادرت لندن و ذهبت الى باريس واحتالت على صاحب مخزن من مخازن الحلى والجواهر ان يريها احسن ما عنده من القلائد وان يرسلها اليها فى دار السفارة البريطانية وذهبت فارسل صاحب المخزن كبير امنائه ورائها فرآها دخلت دار السفارة ولم تخرج فعاد واخبر سيده انها من نزلاء دار السفارة ثم عادت وانتقت قلادتين يبلغ

ثمنها نحو خمسة عشر الف جنيه واعطت الرجل «شيكا» على احد البنوك وذهبت ولا حاجة الى بيان ما عرا الرجل عندما اعيد اليه الشيك مكتوب عليه مزور فهرع الى دار السفارة البريطانية فعلم من التحريات التى اجراها ان سيدة تدعى لورنس جاءت الى دار السفارة كما يجيء الكثيرون غيرها وانها جلست فى غرفة القراءة كالانجليز الذين يقصدون باريس وارتكبت «اميلى» سرقة أخرى بعدما عادت الى لندن فسجنت وتوفيت فى السجن وقدر ثمن ما سرقته في حياتها بنحو مائة الف جنيه ومع ذلك كانت دائما في حاجة الى المال .

هذه قطرة من بحار جرائم المرأة السافرة اكتفيت بنقلها هنا ولو اردنا ان ننقل جميع ما وقفنا عليه من هذا الباب لاحتجنا الى مجلدات ضخمة وانها لتفنى ولا يمكنها احصاء تلك الجرائم .

ان اهمال المرأة وترك حبلها على غاربها تفعل ماشاءت وشاءت شهواتها هو الذى اوقعها في هذه الاخطار ولذلك لا ترى شيئاً من تلك الاحوال لدى النساء اللواتى تقيدهن قيود الدين ويصونهن الحجاب والنقاب ، ويعجبنى ان اختم رسالتى هذه بمقال للكاتب النحرير مصطفى لطفى المنفلوطى ضمنها قصة جرت على احد أصدقائه واتلافه نفسه بسبب السفور انقله برمته لما فيه من الفوائد التى لا تستغنى عنها هذه الرسالة .

الحجاب

ذهب فلان الى اوروبا وما ننكر من امره شيئاً فلبث فيها بضع سنين ثم عاد وما بقي مما كنا نعرف منه شيئا .

ذهب بوجه كوجه العذراء ليلة عرسها وعاد بوجه كوجه الصخرة الملساء تحت الليلة الماطرة . وذهب بقلب نقي طاهر يأنس بالعفو ويستريح الى العذر وعاد بقلب ملفف مدخول لا يفارقه السخط على الارض وما كنها والنقمة على السماء وخالقها ، وذهب بنفس غضة خاشعة ترى كل نفس فوقها وعاد بنفس ذهابة نزاعة لا ترى شيئاً فوقها ولا تلقى نظرة واحدة على ما تحتها ، وذهب برأس كرأس التمثال المثقوب لا يملؤه الا الهواء المتردد ، وذهب وما على وجه الارض احب اليه من دينه ووطنه وعاد وما على وجهها اصغر في عينه منهما .

وكنت أرى ان هذه الصورة الغريبة التي يتراءى فيها هؤلاء الضعفاء من الفتيان العائدين من تلك الديار الى اوطانهم انما هي اصباغ مفرغة على اجسامهم افراغا لا تلبث ان تطلع عليها شمس المشرق فتمحوها كأن لم تكن . وان مكان المدنية العربية من نفوسهم مكان الوجه من المرآة اذا انحرف عنها زال خياله منها فلم اشأ ان افارقه ولبسته على علاته وفاء بعهده ورجاء لغده المنتظر

محتملا فى سبيل ذلك من حمقه و وسواسه وفساد تصو راته وغرابة اطواره ما لا طاقة لمثلى باحتمال مثله حتى جاءنى ذات ليلة بداهيـــة الدواهى ومصيبة المصائب فكانت آخر عهدى به .

دخلت عليه فرأيته واجماً مكتئبا فحييته فأومأ الى بالتحية ايماء فسألته ما باله . فقال ما زلت منذ الليلة من هذه المرأة فى عنـــاء لا اعرف السبيل الى الخلاص منه ولا ادرى مصير امرى فيه. قلت واى امرأة تريد قال تلك التى يسميها الناس زوجتى واسميها الصخرة العاتية القائمة فى طريق مطالبى وآمالى. قلت انك كثير الامال يا سيدى فعن اى آمالك تحدث : قال ليس لى في الحيـاة الا أمل واحد وهو ان اغمض عينى ثم افتحها فلا ارى برقعاً على وجه امرأة فى هذه الامة ... قلت ذلك ما لا تملكه ولا ارى لك فيـــه ، قال ان كثيراً من الناس يرون فى الحجاب رأيى ويتمنون فى امره ما اتمنى ولا يحول بينهم وبين تمزيقه عن وجوه نسائهم وابرازهن الى الرجال يجالسهن كما يجلس بعضهن الى بعض الا العجز والضعف والهيبة التى لا تزال تلم بنفس الشرقى كلما حاول الاقدام على امر جديد فرأيت ان اكون اول هادم لهذا البناء العادى القـديم الذى وقف سداً دون سعادة الامة وارتقائها دهراً طويلا وان يتم على يدى من ذلك ما لم يتم على يد احد غيرى من دعاة الحرية واشياعها فعرضت الامر على زوجتى فاكبرته واعظمته وخيل اليهـــا اننى جئتها بنكبة من نكبات الدهر او رزية من رزاياه وزعمت انهـا

ان برزت للرجال فانها لا تستطيع ان تبرز للنساء بعد ذلك حياء وخجلا ولا خجل هناك ولا حياء ولكنه الموت والجمود والذل الذي ضربه الله على هذه النساء في هذه البلدان يعشن في قبور من خدورهن وخمرهن حتى يأتيهن الموت فينتقلن من مقبرة الدنيا الى مقبرة الاخرى فلا بد لى ان ابلغ امنيتي وان اعالج هذا الرأس القاسي المتحجر علاجا ينتهي باحدى الحسنيين اما بشفائه او بكسره :

فورد على من حديثه ما ملأ نفسي هما وحزناً ونظرت اليه نظرة الراحم الرائي وقلت له اعالم انت ايها الصديق ما تقول قال نعم اقول الحقيقة التي اعتقدها وادين نفسي بها واقعة من نفسك ونفوس الناس جميعا حيث وقعت . قلت هل تأذن لى ان اقول لك انك عشت برهة من الزمان في ديار قوم لا حجاب بين رجالهم ونسائهم فهل تذكر ان نفسك حدثتك يوما من الايام وانت فيهم بالطمع فى شئ مما لا تملك يمينك فنلت ما تطمع فيه من حيث لا يشعر مالكه ... قال ربما وقع لى شئ من ذلك فماذا تريد . قلت اريد ان اقول لك انى اخاف على عرضك ان يلم به من الرجال ما الم باعراض الرجال منك . قال ان المرأة الشريفة تستطيع ان تعيش بين الرجال من شرفها فى حصن حصين لا تمتد اليه الاعناق . فتداخلنى مالم املك نفسي معه وقلت تلك هى الخدعة التي يخدعكم بها الشيطان ايها الضعفاء والثلمة التي يعثر بها فى رؤسكم فينحدر منها الى عقولكم ومداركم فيفسدها عليكم فالشرف كلمة لا وجود لها الا فى

قواميس اللغة و معاجمها فلن اردنا ان تفتش عنها في قلوب النــاس وافئدتهم فانا لا نجدها : والنفس الانسانية كالغدير الراكد لا يزال صافيا رائقا حتى يسقط فيه حجر فاذا هو مستنقع كدر ... والعفة لون من الوان النفس لا جوهر من جواهرها وقلما تثبت الالوان على اشعة الشمس المتساقطة . قال اتنكر وجود العفة بين النــاس قلت لا انكرها لانى اعلم انها موجودة بين البله و الضعفاء و المتعلمين ولــكن انكر وجودها عند الرجل القادر المختلب و المرأة الحــاذقة المترفقة اذا سقط من بينهما الحجاب وخلا وجـــه كل منهما لصاحبه ...

فى اى جو من اجواء هذا البلد تريدون ان تبرز نساكم . أفى جو المتعلمين وفيهم من اذا سئل لم لم يتزوج اجاب نســاء الامة جميعا نسائى .

ام فى جو الطلبة وفيهم من اذا عاد من اوروبا يحمل فى محفظته لا اقل عشر صور لصديقاته ومائة كتاب غرام منهن يتوارى عن اعين اصدقائه حياء وخجلا .

ام فى جو المعلمين وفيهم من يرى من ثمرات التربية رأى المجوس فى ثمرات الاصلاب .

ام فى جو الرعاع والغوغاء و كثير منهم يدخل البيت خادما ذليلا ويخرج منه صهراً كريما .

وبعد فما هذا الولع بقصة المرأة والتمطق بحديثها والقيام والقعود

بأمرها وامر حجابها وسفورها وحريتها واسرها كأنما قد قمتم بكل حق واجب للامة عليكم فى انفسكم فلم يبق الا ان تفيضوا من تلك النعم على غيركم . هذبوا رجالكم قبل ان تهذبوا نسائكم فان عجزتم عن الرجال فانتم عن النساء اعجز ... ابواب الفخر امامكم كثيرة فاطرقوا ايها شئتم ودعوا هذا الباب موصداً فانكم ان فتحتموه فتحتم على انفسكم وبالا عظيما وشقاء طويلا .

ارونى رجلا واحداً منكم يستطيع ان يزعم فى نفسه انه يملك هواه بين يدى امرأة يرضاها فاصدق ان امرأة تستطيع ان تملك هواها بين يدى رجل ترضاه ...

انكم تكلفون المرأة ما تعلمون انكم تعجزون عنه وتطلبون عندها مالا تجدونه عند انفسكم فانتم تخاطرون بها في معركة الحياة مخطرة لا تعلمون اتربحونها من بعدها ام تخسرونها و ما احسبكم ان فعلتم رابحين .

ماشكت المرأة اليكم ظلما ولا تقدمت اليكم طالبه ان تحلوا قيدها وتطلقوها من اسرها فما دخولكم بينها وبين نفسها و ما تمعضكم ليلكم و نهاركم بقصصها واحاديثها .

انها لا تشكو الا فضولكم واسفافكم ولصوقكم بها ووقوفكم فى وجهها حيثما سارت واينما حلت حتى ضاق بها وجه الفضاء فلم تجد لها سبيلا الا ان تسجن نفسها بنفسها في بيتها فوق ماسجنها اهلها فاوصدت من دونها بابها واسبلت استارها تبرما بكم وفرارا

من فضولكم فوا عجبا لكم تسجنونها بأيديكم ثم تقفون على باب سجنها تبكونها وتندبون شقاءها . انكم لا ترثون لها بل ترثون لانفسكم ولا تبكون عليها بل على ايام قضيتموها فى ديار يسيل جوها تبرجا وسفورا ... ويتدفق حرية واستهتارا وتودون بجدع الانف لو ظفرتم هنا بهذا العيش الذى خلفتموه هناك .

لقد كنا وكانت العفة فى سقاء من الحجاب موكوء فما زلتم به تثقبون فى جوانبه كل يوم ثقبا والعفة تتسلل منه قطرة قطرة حتى تقبض وتضاءل ثم لم يكفكم ذلك منه حتى جئتم اليوم تريدون ان تحلوا وكاءه حتى لا تبقى فيه قطرة واحدة

عاشت المرأة حقبة دهرها هادئة مطمئنة فى بيتها راضية عن نفسها وعن عيشتها ترى السعادة كل السعادة فى واجب تؤديه لنفسها او وقفة تقفها بين يدى ربها او عطفة تعطفها على ولدها او جلسة تجلسها الى جارتها فتبثها ذات نفسها وتبثها سريرة قلبها وترى الشرف كل الشرف فى خضوعها لابيها وائتمارها بأمر زوجها ونزولها عند رضاهما وكانت تفهم معنى الحب وتجهل معنى الغرام فتحب زوجها لانه زوجها كما تحب ولدها لانه ولدها فان رأى النساء ان الحب اساس الزواج رأت ان الزواج اساس الحب .

فقلتم لها ان هؤلاء الذين يستبدون بأمرك من اهلك ليسوا بأكبر منك عقلا ولا افضل رأيا ولا اقدر على النظر لك من نظرك لنفسك فلا حق لهم فى هذا السلطان الذى يزعمونه لانفسهم عليك . فازدرت

اباها و تمردت على زوجها وأصبح البيت الذى كان بالامس عرساً من الاعراس الضاحكة مناحة قائمة لا تهدأ نارها و لا تخبو اوارها .

وقلتم لها لا بدلك ان تختارى زوجك بنفسك حتى لا يخدعك اهلك عن سعادة مستقبلك فاختارت لنفسها اسوأ مما اختارلها اهلها فلم يزد عمر سعادتها على يوم وليـــلة ثم الشقاء الطويل بعد ذلك والعذاب الاليم .

وقلتم لها ان الحب اساس الزواج فما زالت تقلب عينيها فى وجوه الرجال صاعدة متحدرة حتى شغلها الحب عن الزواج .

وقلتم لها ان سعادة المرأة فى حياتها ان يكون زوجها عشيقها وما كانت تعرف الا ان الزوج غير العشيق فاصبحت تطلب فى كل يوم زوجا جديدا يحيى من لوعة الحب ما اماته القديم فلا قديماً استبقت ولا جديداً افادت .

وقلتم لها لا بد لك من ان تتعلمى لتحسنى تربية ولدك والقيام على شؤون بيتك فتعلمت كل شىء الا تربية ولدها والقيام ببيتها

وقلتم لها انا لا نتزوج من النساء الا من نحبها ونرضاها ويلائم ذوقها ذوقنا وشعورها شعورنا فكان لا بد لها ان تعرف مواقع اهوائكم ومسارح انظاركم لتتجمل لكم بما تحبون فراجعت فهرس اعمالكم فى حياتكم صفحة صفحة فلم ترفيه غير اسماء الخليعات المستهترات والضاحكات اللاعبات والاعجاب بهن . والثناء على ذكائهن وفطنتهن فتخلعت واستهترت لتبلغ رضاكم وتنزل عند محبتكم ثم تقدمت اليكم

بهذا الثوب الرقيق الشفاف تعرض نفسها عليكم عرضا كما يعرض النخاس امته فى سوق الرقيق فاعرضتم عنها و نبوتم بها وقلتم لها انا لا نتزوج النساء العاهرات كانكم لا تبالون ان تكون نساء الامة جميعاً ساقطات اذا سلمت لكم نسائكم فرجعت ادراجها خائبة منكسرة وقد اباها الخليع وترفع عنها المحتشم فلم تجد بين يديها غير باب السقوط فسقطت .

وهكذا انتشرت الريبة فى نفوس الامة جميعها وتمشت الظنون بين رجالها ونسائها فتحاجز الفريقان واظلم الفضاء بينهما واصبحت البيوت كالاديرة لا يرى فيها الرائى الا رجالا مترهبين والا نساء عانسات

ذلك بكاؤكم على المرأة ايها الراحمون وهذا رثاؤكم لها وعطفكم عليها ... نحن نعلم كما تعلمون ان المرأة فى حاجة الى العلم فليهذبها ابوها او اخوها فالتهذيب انفع لها من العلم والى اختيـــار الزوج العادل الرحيم فليحسن الاباء الاختيار لبناتهم وليجمل الازواج عشرة نسائهم . والى النور والهواء تبرز اليهما وتتمع فيهما بنعمة الحيـــاة فليأذن لها اولياؤها بذلك وليرافقها رفيق منهم في غداوتها وروحاتها كما يرافق الشاة راعيها خوفا عليهـا من الذئاب . فان عجزنا عن ان نأخـــذ الاباء والاخوة والازواج بذلك فلننفض ايدينـا من الامة جميعها نسائها ورجالها فليست المرأة باقدر على اصلاح نفسها من الرجل على اصلاحها .

اعجب ما اعجب له من شؤنكم انكم تعلمتم كل شئ الاشيئاً واحداً

هو ادنى الى مدار ككم ان تعلموه قبل كل شئ وهو ان لكل تربة نباتا ينبت فيها ولكل نبات زمناً ينمو فيه .

رأيتم العلماء فى اوربا يشتغلون بكماليات العلوم بين امم قد فرغت من ضرورياتها فاشتغلتم بها مثلهم فى امة لا يزال سوادها الاعظم فى حاجة الى حروف الهجاء .

ورأيتم الفلاسفة ينشرون فلسفة الكفر بين الشعوب ملحدة لها من عقولها وآدابها ما يغنيها عن ايمانها فاشتغلتم بنشرها بين امة ضعيفة ساذجة لا يغنيها عن ايمانها شيء .

ورأيتم الرجل الاوروبى حرا مطلقا يفعل ما يشاء ويعيش كما يريد لانه يستطيع ان يملك نفسه وخطراته فى الساعة التى يعلم فيها انه قد وصل الى حدود الحرية التى رسمها لنفسه فلا يتخطاها فاردتم ان تمنحوا هذه الحرية نفسها رجلا ضعيف الارادة والعزيمة يعيش من حياته الادبية على رأس منحدر زلق فان زلت به قدمه مرة انحدرمن حيث لا يستطيع ان يستمسك حتى يبلغ الهوة ويتردى فى قرارتها

ورأيتم الزوج الاوروبى انضجت القرون رأسه وازالت خشونة نفسه وحرشتها يستطيع ان يرى زوجته تخاصر من تشاء من الرجال وترافق من تشاء وتخلو بمن تشاء فيقف امام ذلك المشهد موقف الجامد المتبلد فاردتم من الرجل الشرقى الغيور الملتهب ان يقف موقفه ويستمسك استمساكه .

ورأيتم المرأة الاوروبية الجريئة المتفتية تستطيع فى بعض مواقفها

بين الرجال ان تحتفظ بعصمتها فاردتم من المرأة الشرقية الضعيفة الساذجة ان تبرز للرجال بروزها وتحتفظ بنفسها احتفاظها .

وكل نبات يزرع فى ارض غير ارضه او ساعة غير ساعته اما ان تأباه الارض فتلفظه واما ان ينشب فيها فيفسدها .

انا نضرع اليكم بأسم الشرف الوطنى والحرمة الدينية ان تتركوا تلك البقية الباقية من نساء الامة آمنات مطمئنات فى بيوتهن ولا تزعجوهن باحلامكم وآمالكم كما ازعجتم من قبلهن فكل جرح من جروح الامة له دواء الا جرح الشرف فلا دواء له .

فان ابيتم الا ان تفعلوا فانتظروا بانفسكم قليلا ريثما تنتزعوا من صدوركم هـــذه الغيرة التى ورثتموها عن آبائـكم واجدادكم لتستطيعوا ان تعيشوا فى حياتكم الجديدة سعداء آمنين .

فما زاد الفتى على ان ابتسم فى وجهى ابتسامة الهزء والسخرية وقال تلك حماقات ما جئنا الا لمعالجتها فلنصطبر عليها حتى يقضى الله بيننا وبينها فقلت له لك امرك فى نفسك وفى اهلك فاصنع بهما ما تشاء وأذن لى ان اقول لك انى لا استطيع ان اختلف اليك بعد هذا اليوم ابقاء عليك وعلى نفسى لانى اعلم ان الساعة التى ينفرج لى فيها جانب ستر من اســـتار بيتك عن وجه امرأة من اهلك فى حضرتك تقتلنى حيـاء وخجلا .

ثم انصرفت وكان هذا آخر ما بينى وبينه وماهى الا ايام قلائل حتى سمعت الناس يتحدثون ان فلاناً هتك الستر بين نســـائه

واصدقائه وانه قد اصبح مغشياً لا تزال النعال خافقة ببابه فذرفت عيني دمعة لا اعلم هل هي دمعة الغيرة على العرض المنال ام الحزن على الصديق المفقود .

مرت على تلك الحادثة ثلاثة اعوام لا ازوره فيها ولا يزورني ولا القاه في طريقه الا قليلا فاحييه تحية الغريب للغريب من حيث لا يجري لما كان بيننا ذكر ثم انطلق في سبيلي .

فاني لعائد الى منزلي ليلة امس وقد مضى الشطر الاول من الليل اذ رأيته خارجاً من منزله يمشي مشية المضطرب الحائر وبجانبه جندي من جنود الشرطة كأنما هو يحرسه او يقتاده فاهمني امره ودنوت منه فسألته عن شانه فقال لا علم لي بشيء سوى ان هذا الجندي قد طرق الساعة بابي يدعوني الى مخفر الشرطة ولا اعلم لمثل هذه الدعوة في مثل هذه الساعة سبباً وما انا بالرجل المذنب ولا المريب فهل استطيع ان ارجوك يا صديقي القديم بعد الذي كان بيني وبينك ان تصحبني الليلة في وجهي هذا على احتاج الى معونتك فيما قد يعرض لي هنالك من الشؤن فقلت لا شيء احب الي من ذلك ومشيت معه صامتاً لا احدثه ولا يقول لي ثم شعرت كانه يزور في نفسه كلاماً يريد ان يفضي به الي فيمنعه الخجل والحياء ففاتحته الحديث وقلت له . ألم تستطع ان تتذكر لهذه الدعوة سبباً فنظر الي نظرة حائرة وقال ان اخوف ما اخافه ان يكون قد حدث لزوجتي الليلة حادث مزاج فقد رابني من امرها انها لم تعد الى منزلها

حتى الساعة وما كان ذلك شأنها من قبل . قلت اما كان يصحبها احد قال لا قلت ومم تخاف عليها . قال لا اخاف شيئاً سوى انى اعلم انها امرأة غيور حمقاء فلعل بعض الناس حاول العبث بها فى طريقها فشرست عليه فوقع بينهما واقعة انتهى حديثها الى رجال الشرطة وكنا قد وصلنا الى المخفر فاقتادنا الجندى الى قاعة المأمور حتى صرنا بين يديه فاشار الى جندى امامه اشارة لم نفهمها ثم استدنى الفتى اليه وقال له يسؤنى يا سيدى ان اقول لك ان رجال الشرطة قد عثروا الليلة فى مكان من امكنة الريبة على رجل وامرأة فى حال غير صالحة فاقتادوهما الى المخفر فزعمت المرأة ان لها بك صلة فدعوناك لتكشف لنا الحقيقة فى امرها وامر صاحبها فان كانت صادقة اذنا لها بالانصراف معك اكراماً لك وابقاء على شرفك . والا فهى امرأة فاجرة لا نجاة لها من عقاب الفاجرات وها هما وراءك فانظرهما وكان الجندى قد جاء بهما من غرفة السجن فنظر فاذا المرأة زوجته واذا الرجل احد اصدقائه فصرخ صرخة رجفت لها جوانب المخفر وملأت نوافذه وابوابه عيوناً وآذاناً ثم سقط في مكانه مغشياً عليه . فاشرت على المأمور ان يرسل المرأة الى منزل ابيها ففعل وامر بصاحبها الى السجن ثم حملنا الفتى فى مركبة الى منزله ودعونا الطبيب فقرر انه مصاب بحمى دماغية شديدة ولبث ساهراً بجانبه بقية الليل يعالجه حتى دنا الصبح فانصرف الطبيب على ان يعود متى دعوناه وعهد الى بامره فلبثت بجانبه ارثى لحاله

وانتظر قضاء الله فيه حتى رأيته يتحرك في مضجعه ثم فتح عينيه فرآني فلبث الى شاخصاً هنيئة كانما يحاول ان يقول لى شيئاً فلا يستطيع فدنوت منه فقلت هل من حاجة ياسيدى فاجاب بصوت ضعيف خافت حاجتى ان لا يدخل على من الناس احد قلت لن يدخل عليك الا من تريد فاطرق هنيئة ثم رفع رأسه فاذا عيناه مبتلتان بالدموع فقلت ما بكاك ياسيدى قال اتعلم اين زوجتى الان قلت وماذا تريد منها قال لا شىء سوى ان اقول لها انى عفوت عنها قلت انها فى بيت ابيها قال وارحمتاه لها ولابيها ولجميع قومها فلقد كانوا قبل ان يتصلوا بى شرفاء امجاداً فالبستهم منذ عرفونى ثوباً من العار لا تبلوه الايام

من لى بمن يبلغهم عنى جميعاً انى رجل مريض مشرف وانني اخشى لقاء الله ان القيه بدمائهم واننى اضرع اليهم ان يصفحوا عنى ويغتفروا ذنبى قبل ان يسبق لى اجلى .

لقد كنت اقسمت لابيها يوم اهتديتها ان اصون عرضها صيانتى لحياتى وان امنعها مما امنع منه نفسى فحنثت فى يمينى فهل يغفر لى ذنبى فيغفر لى الله بغفرانه .

انها قتلتنى ولكن انا الذى وضعت فى يدها الخنجر الذى اغمدته فى صدرى فلا يسألها احد عن ذنبى .

البيت بيتى والزوجة زوجتى والصديق صديقى ، وانا الذى فتحت باب بيتى لصديقى الى زوجتى فلم يذنب الى احد سواى .

ثم امسك عن الكلام برهة فنظرت اليه . فاذا سحابة سوداء تنتشر فوق جبينه شيئاً فشيئا حتى لبست وجهه فزفر زفرة خلت انها خرقت حجاب قلبه ثم انشأ يقول ... آه ما اشد الظلام امام عيني ، وما اضيق الدنيا في وجهي في هذه الغرفة ... على هذا المقعد . تحت هذا السقف كنت اراهما جالسين يتحدثان فتمتلىء نفسي غبطة وسروراً واحمد الله على ان رزقني بصديق وفي يؤنس زوجتي في وحدتها ، وزوجة سمحة كريمة تكرم صديقي في غيبتي فقولوا للناس جميعاً ان ذلك الرجل الذي كان يفخر بالامس بذكائه وفطنته ويزعم انه اكيس الناس واحزمهم ، قد اصبح يعـــترف اليوم انه ابله الى الغاية من البلاهة وغبي الى الغاية التي لا غاية وراءها .

وا لهفاه على ام لم تلدني واب عاقر لا نصيب له في البنين .

لعل الناس كانوا يعلمون من امري ما كنت اجهل ولعلهم اذا مررت بهم كانوا يتناظرون ويتغامزون ويبتسم بعضهم الى بعض ويحدقون الي ويطيلون النظر في وجهي ليروا كيف تتمثل البلاهة في وجوه البله والغباوة في وجوه الاغبياء ، ولعل الذين كانوا يطيفون بي ويتوددون الي من اصدقائي انما كانوا يفعلون ذلك من اجلها لا من اجـــلي . ولعلهم كانوا يسمونني فيما بينهم وبين انفسهم (قواداً) ويسمون زوجتي (مومساً) وبيتي ماخورا .

فوارحمتاه لي ان بقيت على ظهر الارض بعد اليوم ساعة واحدة ، والهفتاه على زاوية من زوايا قبر عميق يطويني ويطوي عاري معي .

ثم اغمض عينيه وعاد الى ذهوله واستغراقه ، وهنا دخلت الحجرة مرضع ولده تحمله على يدها حتى دنت به من فراشه فتركته وانصرفت فما زال الطفل يدب على يده حتى علا صدر ابيه فاحس به ففتح عينيه فرآه فابتسم لمرآه وضمه اليه ضمة الرفق والحنان وادنى فمه من وجهه كأنما يريد ان يقبله ثم انتفض فجأة واستسر بشره ودفعه عنه بيده دفعاً شديداً ، فانكفأ على وجهه يبكى ويصيح ، وقال ابعدوه عنى لا اعرفه ليس لى اولاد ولا نساء ، سلوا امه عن ابيه اين مكانه ! واذهبوا به اليه لا البس العار في حياتى واتركه اثرا خالدا ورائى بعد مماتى وكانت المرضع قد سمعت صياح الطفل فعادت اليه وحملته وذهبت به فسمع صوته وهو يبتعد عنه شيئا فشيئا فانصت اليه واستعبر باكيا وصاح ارجعوه الى فعادت به المرضع فتناوله من يدها وانشأ يقلب نظره فى وجهه ويقول .

فى سبيل الله يا بنى ما خلف لك ابوك من اليتم وما خلفت لك امك من العار فاغفر لها ذنبهما اليك فقد كانت امك امرأة ضعيفة فعجزت عن احتمال صدمة القضاء فسقطت ، وكان ابوك حسن النية فى جريمته التى اجترمها فاساء من حيث اراد الاحسان .

سواء أكنت ولدى يا بنى او ولد الجريمة فانى قد سعدت بك برهة من الزمن فلا انسى يدك عندى حيا وميتا .

ثم احتضنه اليه وقبله فى جبينه قبلة لا أعلم هل هى قبلة الاب الرحيم ، او الرجل الكريم .

وكان قد بلغ منه الجهد فعاودته الحمى وغلت نارها فى رأسه ومــا زال يثمل شيئاً شيئاً حتى خفت عليه التلف فارسلت وراء الطبيب فجاء والقى عليه نظرة طويلة ثم استردها مملوءة يأساً وحزنا .

ثم بدأ ينزع نزعاً شديدا وينّ انيناً مؤلما فلم تبق عين من العيون المحيطة به الا ارفضت كل ما تستطيع ان تجود من مدامعها .

فانا لجلوس حوله وقد بدأ الموت يسبل استاره السوداء حول سريره واذا بأمرأة متزرة بازار اسود قد دخلت الحجرة وتقدمت نحوه ببطأ حتى ركعت بجانبه ثم اكبت على يده الممتدة فوق صدره فقبلتها واخذت تقول له :

لا تخرج من الدنيا وانت مرتاب فى ولدك فان امه تعترف بين يديك وانت ذاهب الى ربك تسأله عن قولها انها وان كانت دنت من الجريمة فانها لم ترتكبها .

عى يا والد ولدى واسأل الله عند ما تقف بين يديه ان يلحقنى بك فلا خير لى فى الحياة من بعدك .

ثم انفجرت باكية ففتح عينيه والقى على وجهها نظرة باسمة كانت هى آخر عهده بالحياة وقضى .

الآن عدت من المقبرة بعد ما دفنت صديقى بيدى واودعت حفرة القبر ذلك الشباب الناضر والروض الزاهر وجلست لكتابة هذه السطور وانا لا اكاد املك مدامعى وزفراتى فلا يهون وجدى

عليه الا ان الامة كانت على باب خطر من اخطارها فتقدم هو امامها الى ذلك الخطر وحده فاقتحمه فمات شهيدا بين يديها فنجت بهلاكه ؟

هذا آخر ما اردنا جمعه والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله
وسلم تسليماً
كثيراً
كثيرا

الفهرست

صفحة	
٢	ديباجة الكتاب
٣	المرأة المدنية المادية
١١	مركز المرأة في المجتمع ووظائفها الخاصة
٢١	المرأة والحجاب والسفور وحكم العقل فيهما
٢٧	الحجاب الشرعي والادلة على وجوبه
٣٣	المرأة والتعليم
٣٩	المرأة السافرة والعمل
٤٧	الحياة العائلية والمدنية المادية
٥٤	السفور والتبرج وتضجر اهلهما منهما
٦٣	المرأة السافرة والجرائم
٧٤	الحجاب (مقال للسيد مصطفى لطفي المنفلوطي)
٩٠	الختام

﴿ تمت ولله الحمد ﴾

مطبوعات المؤلف

آنة	روبية	
	٦	منن الرحمن فى شرح وسيلة الفوز والامان، مجلدان كبيران يشتملان على علم، وادب، ولغة وتاريخ وغير ذلك من الفنون المختلفة
	٢	مواهب الواهب فى فضائل ابى طالب عليه السلام
٨	١	الجزء الاول من وسيلة النجاة فى شرح الباقيات الصالحات، ديوان لعبد الباقى العمرى
٨		الحجاب [illegible]

تطلب هذه الكتب النفيسة جميعها من [illegible] لصاحبها السيد عبد المطلب الهاشمى [illegible] يطلب منها كمية وافرة بالمائة [illegible]